



إن الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، اللهم صلِّ وسلم وبارك عليه.

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ) (آل عمران:١٠٢).

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا) (النساء:١).

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلا سَدِيدًا . يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا) (الأحزاب:٧٠-٧١).

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد -صلى الله عليه وسلم-، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار، وما قل وكفى خير مما كثير وألهى، وإن ما توعدون لآت وما أنتم بمعجزين.

إن من دواعي سرور النفس ما نراه من تنامي التيار السلفي وزيادة المنتسبين إليه علمًا وعملاً، والحمد لله رب العالمين، ولا شك أن هذا مما يثلج صدر كل محب للكتاب والسنة، وكل حريص على تمسك الناس بهما، ولا يكدر على المرء فرحته هذه إلا ما يقع من وقت لآخر ممن يتحاملون على السلفية والسلفيين بجهل أو بسوء قصد؛ ليثير حفيظة العوام ضدهم، ويزرع في القلوب الأحقاد، ببث الشبهات والتهم حول السلفية.

لقد ظلمت السلفية -وظلم السلفيون- ظلمًا شديدًا، ولم يمنع ذلك الظلم استمرار السلفيين على نهج من سبقهم من أهل السنة والجماعة، فيقومون بنفس ما قام به سلفهم الصالح من نشر الحق، والرد على شبهات الباطل، ونصر السنة وقمع البدعة، والحرص على وحدة المسلمين على الحق ونبذ التفرق، وكان لابد من مشاركة في دفع الشكوك والتهم، والزود عن المنهج السلفي بالحجة والبرهان.

إن السلفية كمنهج ليست حكرًا على فئة من الناس دون غيرهم؛ لأنها هي الإسلام بفهم قرون الخيرية من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين، ومن سار على نهجهم في كل زمان ومكان؛ لذا فدفاعنا هنا عن السلفية دفاعًا عن منهج قبل أن يكون دفاعًا عن أفراد، هو جهد مقل تعرضتُ فيه لبعض القضايا التي تدور في فلك السلفية بالإيضاح والبيان، ولبعض الشبهات والأباطيل حول السلفيين بالدحض والإبطال.

وجعلتها على صورة سؤال وجواب تشويقًا للقراء.

أسأل الله -تعالى- التوفيق والقبول، وأرجو ممن ينتفع به أن يدعو لي بظهر الغيب دعوة صالحة تنفعني وإياه يوم القيامة.

وأقدم شكري وامتناني لشيخنا الفاضل "ياسر برهامي" على إرشاداته وتصويباته، نفعنا الله بعلمه، وجزاه عنا خيرًا.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين. وصلى الله على محمد وآله وصحبه.

علاء بكر

جمادى الآخرة ١٤٢٢هـ

سبتمبر ٢٠٠١.

١- ما المراد بالسلف والسلفية؟

كلمة السلفية لغة: مصدر صناعي، في آخره ياء وتاء[1]، فأصل الكلمة: "سلف".

وكلمة "سَلَفَ" بمعنى: مضى وتقدم. فالسالف: المتقدم.

وسلف الرجل: آباؤه المتقدمون وقرابته الذين هم فوقه في السن والفضل[2].

1- المصدر الصناعي يكون بإضافة ياء النسب ثم التاء المربوطة في آخر الكلمة.

2 - راجع في ذلك: لسان العرب لابن منظور. ط. دار المعارف ج٣، ص ٢٠٦٨- ٢٠٧٠، وانظر محيط المحيط لبطرس البستاني ج ٩٨٣/٣.

قال -تعالى-: (وَلا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إلا مَا قَدْ سَلَفَ) (النساء:٢٢)، وقال -تعالى-: (وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الأُخْتَيْنِ إلا مَا قَدْ سَلَفَ) (النساء:٢٣).

وقال -تعالى-: (عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ) (المائدة:٩٥).

وقال -تعالى-: (قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ) (الأنفال:٣٨).

أما من الناحية التاريخية فالمراد بالسلف: الصحابة والتابعون، وتابعوهم ومن وافق الكتاب والسنة، فمن خالف برأيه الكتاب والسنة فليس بسلفي وإن عاش بين أظهر الصحابة والتابعين وتابعي التابعين.

٢- ما هو تعريف السلفية كاصطلاح؟

السلفية اصطلاحًا: ما كان عليه الصحابة الكرام -رضوان الله عليهم- والتابعون لهم بإحسان إلى يوم الدين، وأتباعهم، وأئمة الدين ممن شُهد له بالإمامة وعُرفَ عظم شأنه في الدين، وتلقى الناس كلامهم خلفًا عن سلف، كالأئمة الأربعة وسفيان الثوري، والليث بن سعد، وابن المبارك، والنخعي، والبخاري، ومسلم، وسائر أصحاب السنن، دون من رمي بالبدعة أو شهر بلقب غير مرضي مثل: الخوارج والروافض[3]، والمرجئة، والجبرية، والجهمية، والمعتزلة[4].

فكل من التزم بعقائد وفقه هؤلاء الأئمة كان منسوبًا إليهم، وإن باعدت بينه وبينهم الأماكن والأزمان، وكل من خالفهم فليس منهم وإن عاش بين أظهرهم، وجمع بهم نفس المكان والزمان.

٣- من مؤسس المذهب السلفي؟

السلفية ليست من تأسيس بشر، إنما هي الإسلام نفسه، كتابًا وسنة، بالفهم الصحيح علمًا وعملاً، وتمسك بما كان عليه الإسلام في زمن النبوة، وبما كان عليه صحابة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-*.

٤- ما المراد بقولهم: "حتمية المنهج السلفي"؟

المراد بحتمية السلفية: الأخذ بها والعمل بمقتضاها، فلا سبيل للنهوض بالأمة إلا بالعودة إلى الإسلام، والإسلام الصحيح مصدره القرآن والسنة، والتطبيق الأمثل والأكمل للكتاب والسنة إنما هو في جيل الصحابة ومن سار على نهجهم، والسلفية عودة بالإسلام إلى منبعه الصافي النقي وبالفهم الأمثل والأكمل.

والنبي -صلى الله عليه وسلم- أخبرنا أنه ترك لنا ما إن تمسكنا به فلن نضل بعده أبدًا: كتاب الله وسنته، وأمرنا بالتمسك بسنته وسنة أصحابه من بعده، وأن من لزم ذلك كان من الناجين حال اختلاف أمة وافتراقها.

ومن أظهر التمسك بما كان عليه السلف وأظهر الانتساب له يجب قبول ذلك منه إذ هم خير قرون الأمة كما أخبر بذلك النبي -صلى الله عليه وسلم-.

٥- متى مصطلح السلفية تاريخيًا؟ وما هو سبب ظهوره كمصطلح؟

---

3 - الشيعة.

4 - ابن حجر القطري "العقائد السلفية بأدلتها العقلية والنقلية".

* فالمذهب السلفي إذن مذهب قديم قدم الإسلام نفسه، ولم ينشأ ويتطور بعد عصر الرسول -صلى الله عليه وسلم- كما نشأت الفرق بعد عصر الرسول -صلى الله عليه وسلم-، وشهدت تطورًا جيلاً بعد جيل، كما أن المذهب السلفي لا يقوم كغيره من مذاهب الفرق الأخرى على نسق من موضع أحد العلماء أو المفكرين.

ظهر مصطلح "السلفية" نسبة إلى "السلف" في العصر العباسي، في مقابلة "الخلف"، حيث زعم الأشاعرة والماتريدية أن طريقة الخلف ومنهجهم أحكم وأعلم من طريقة السلف، وادعوا نصرة مذهب السلف وأهل السنة والجماعة، ولكن بطريقة المتكلمين في تقديم العقل على النقل.

ولما كانت طريقة السلف أعلم وأحكم وأحوط وأسلم من طريقة الخلف بتقديم النقل على العقل، فقد صار مصطلح "السلفية" يطلق على المتمسكين بطريقة السلف وعقائدهم الرافضين لمنهج الخلف وطريقتهم في الاستدلال.

والأشاعرة والماتريدية رغم جهودهم المبذولة في الرد على الفرق المبتدعة خاصة المعتزلة إلا أن طريقتهم في الاستدلال بالأدلة العقلية أوقعتهم في مخالفات لبعض عقائد السلف في أمور الأسماء والصفات، والقضاء والقدر، والإيمان، وكلام الله -عز وجل-، كما هو معروف عنهم، فهم بذلك مخالفون لأهل السنة والجماعة في مسائل؛ لذا فنسبتهم إلى أهل السنة ليست بصواب وإن كانوا من أخف أهل البدع ابتداعًا، وأقربهم لمذهب أهل السنة.

وقد ثبت عن أبي الحسن الأشعري نفسه والذي إليه ينسب المذهب الأشعري رجوعه في مؤلفاته الأخيرة إلى مذهب أهل السنة والجماعة على طريقة السلف عقيدة ومنهاجًا، مثل كتابيه: "الإبانة عن أصول الديانة"، و"مقالات الإسلاميين".

٦- يزعم البعض أن السلفية إنما ظهرت كرد فعل في مواجهة تيار الفكر العقلاني عند المتكلمين من المسلمين بعد حركة ترجمة الكتب اليونانية القديمة في العصر العباسي. فما صحة ذلك؟

هذا زعم خاطئ قطعًا، فليست السلفية رد فعل من عوام الأمة في مواجهة تيار الفكر العقلاني لدى الفلاسفة والمتكلمين الذي ظهر وانتشر في العصر العباسي، فتمسك جمهور أهل السنة بالنصوص الشرعية وتقديم النقل على العقل إنما كان اتباعًا لجيل الصحابة -رضي الله عنهم- وأهل الحديث، وهو أمر سابق على ظهور حركة الترجمة والتأثر بطريقة المتكلمين التي سادت في العصر العباسي لدى الكثيرين من الفرق المخالفة لأهل السنة: كالمعتزلة والأشاعرة وغيرهما.

لأن السلفية بصفتها منهجًا لفهم الإسلام والتزامه، تمثلت في جيل الصحابة بصورتها الأنقى، ولهذا كانت الدعوة إلى السلفية دعوة إلى الرجوع لذلك المنهج، ولأن الدعوة إلى السلفية، أي إلى منهج صحابة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- نادى بها الرسول -صلى الله عليه وسلم- كما في قوله: (فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ) (رواه أحمد وأبو داود والترمذي، وصححه الألباني)، ونادى بها علماء الصحابة أنفسهم وتابعوهم قبل العصر العباسي، فهناك فَرْق بين ظهور المصطلح وبين وجود المنهج السابق على ظهور المصطلح.

فائدة:

ينبغي التفرقة بين السلفية كعقيدة ومنهج نشأ وتبلور في عهد الصحابة والتابعين وتابعي التابعين، وبين مصطلح السلفية الذي ظهر متأخرًا في أيام الدولة العباسية بعد التأثر بحركة الترجمة للفلسفة اليونانية وعلومها.

فقبل ظهور مصطلح السلفية نسبة إلى السلف من الصحابة والتابعين كان هناك من يحمل عقيدة السلف ومنهجهم، وهم الذين سموا بأهل الحديث في فترة من الفترات، وسموا بأهل السنة والجماعة في فترة أخرى.

لذا فالسلفية كمصطلح هو مرادف لأهل السنة والجماعة ومرادف لأهل الحديث.

أما مصطلح السلفية فأطلق في مقابلة مصطلح "الخلف" لما أراد المتأخرون "الخلف" نصرة مذهب أهل السنة في ظنهم على طريقة المتكلمين زاعمين أن هذا المنهج -منهج المتكلمين- أعلم وأحكم فقام المتمسكون بمنهج السلف في الاستدلال بتسمية منهجهم: بالمنهج السلفي.

فالسلف في مقابلة الخلف اصطلاحًا.

٧- يتردد أحيانًا تعبير: "سلفية ما قبل الخلاف" و"سلفية ما بعد الخلاف" فماذا يعني هذا التعبير؟ وما هي الدلالة الفكرة المرادة بذلك؟

الخلاف المراد هنا الاختلاف الذي ظهر بين المسلمين في أمور العقيدة، وقد بدأ هذا الخلاف في أواخر عهد الصحابة في شكل آراء مبتدعة تخالف ما عليه الصحابة، ولكن هذه الآراء كانت لأفراد قلة منفردين، ثم تبعهم عليها آخرون: كالخوارج، والشيعة، والقدرية، ولكن هذه البدع العقائدية تبلورت في مدارس فكرية عقائدية في أوائل العصر العباسي، وتشعبت وتعددت وصارت لها فرق متعددة: كالمعتزلة، والكلابية، والأشاعرة، والماتريدية، والمرجئة.. الخ.

وسلفية ما قبل الخلاف: هي سلفية الإيمان لدى الصحابة وتابعيهم القريبين منهم، الذين كانوا يتلقون الإيمان من كتاب الله وسنة الرسول -صلى الله عليه وسلم-، وأفواه الصحابة دون أن تسبق ذلك إلى فهومهم تصورات محددة يبنون ما تلقوه من النصوص عليها.

وسلفية ما بعد الخلاف: فهي المواقف التي اتخذها سلفيون بعد تبلور مدارس الخلاف العقدي، والتي يتمثل موقف الإمام أحمد بن حنبل -رحمه الله- من المعتزلة في قضية خلق القرآن أبرز نماذج تمثلاتها الأولى.

وتتجلى سلفية ما بعد الخلاف في المؤلفات التي بُنيَت مسائلها اختيارًا وترتيبًا ودراسة على ما هو مثار في الساحة الفكرية -لعصر صاحبها- من مسائل خلافية في العقيدة.

فسلفية ما قبل الخلاف لدى الصحابة كانت تمثل الإسلام في مقابلة الجاهلية المحضة الموروثة معتقداتها قبل ظهور الإسلام. وسلفية ما بعد الخلاف تمثل الفهم النقي للإسلام في مواجهة المناهج الخارجة عن معتقدات الصحابة المأخوذة من الكتاب والسنة.

فسلفية ما قبل الخلاف: تعني العودة إلى الجيل الأول بفهمه للكتاب والسنة، والاستغناء بذلك عن البحث في الآراء في المسائل العقدية لدى الأمة بعد أن تفرقت وكثرت تياراتها الفكرية، بما في ذلك المؤلفات لعلماء السلفية في الرد على المخالفين في أصول العقيدة وبيان انحرافهم وتركهم للحق.

وسلفية ما بعد الخلاف تعني: الأخذ بكتابات ومواقف علماء السلفية عبر عصور ما بعد الخلاف، والاستفادة منها في معرفة مدى أخطاء وضلالات الفرق المخالفة والتي قد تكون دقيقة تلتبس على البعض.

وبالنظر إلى أن هناك من العلماء والمفكرين من لا ينتبهون إلى فوارق وأخطاء الفرق المنحرفة عن منهج أهل السنة والجماعة وعقيدة السلف، أو يهون كثيرًا من شأنها لعدم استيعابهم لحجم هذه الانحرافات وخطورتها، كل ذلك يبين أهمية الوعي بكتابات ومواقف السلفيين فيما بعد الخلاف بردودهم على الفرق المنحرفة ونقدهم لها منهجًا واعتقادًا.

إن مقولات الفرق المنحرفة تعدت كتب العقيدة ودخلت في الكثير من العلوم الإسلامية: كالسنة، والتفسير، واللغة، والفقه، بل والرقائق والأدب، مما لا يسلم من التعرض له طلاب العلم في دراساتهم، ومن ثمَّ لزم على طلاب العلم أن يستوعبوا كتابات أئمة المنهج السلفي في القضايا العقائدية، حتى يتمكنوا من التمييز بين الخطأ والصواب، الحق والباطل، السنة والبدعة.

ويؤيد ذلك:

١- أن ما قدمه سلفيو ما قبل الخلاف -رضي الله عنهم- كان في غالبه عرضًا مجملاً في بعض قضايا العقيدة؛ لأنهم في زمانهم لم يكونوا بحاجة إلى التفصيل فيها على النحو الذي استشرى في الأزمان التي تلت زمنهم، مما حدا بسلفي ما بعد الخلاف إلى الخوض في تفاصيل هذه العقيدة حماية لعقيدة المسلمين من الخروج عن عقيدة السلف.

٢- إن دعاة الانحراف المخالفين لعقائد الصحابة المستمدة من الكتاب والسنة لا يظهرون مصادمة الكتاب والسنة ومناوئة ما ورد عن السلف الصالح، حتى يسهل على المسلم المقبل على الكتاب والسنة المعظم لهدي السلف الصالح أن يتجنبهم، ولكنهم يتظاهرون بالغيرة على الإسلام، والرغبة في تنزيه صفات الله وأسمائه، والرد على الطاعنين في الدين، ويكثرون من الاستشهادات والتعليلات بصورة تلتبس على من لا يعرف مقالات علماء السلفية جيلاً بعد جيل في بيان هذه الانحرافات وخطورتها.

أما العوام من المسلمين من غير الطلاب الدارسين فقد يكون عرض سلفية ما قبل الخلاف عليهم لتقرير عقائد السلف دون مسائل الاختلاف وآراء الفرق المنحرفة بما يكسبهم حصانة تجعلهم ينفرون من الضد المخالف لو عرض عليهم أو تعرضوا له[٥].

٨- لماذا التسمية بالسلفية وهو اسم لم يرد في الكتاب أو السنة؟

إن إطلاق الأسماء على أي حقيقة لا ضرر منه مطلقًا، سواء في الشرعيات أو المباحات، والاسم طالما أنه يشتمل على باطل فليس ممنوعًا شرعًا.

ولقد سمي بعض المسلمين بالمهاجرين من أجل الهجرة، وسمي البعض الآخر بالأنصار من أجل النصرة، وسمي من جاء بعدهم بالتابعين لاتباعهم من سبقهم من المهاجرين والأنصار، فما هو الضير في تسمي من تلمس هدي السلف من المهاجرين والأنصار والتابعين بالسلفيين؟!

ولقد كانت هذه التسمية ضرورية وما زالت لتمييز الطائفة المهتدية بالسلف عن سائر الطوائف المخالفة لهم باسم يشير إليهم من بين من يخالفهم، وهي نسبة قبل أن تكون اسمًا علمًا.

ومن هذا فنحن لا نتعصب لهذا الاسم، بل نحب كل مسلم يشهد الشهادتين، ويعمل حسب استطاعته بمقتضاهما، ونوالي كل مسلم يحب الله ورسوله، ولا ننصر السلفي إن كان مبطلاً، ولو كان عدوه كافرًا، فنحن لا نوالي السلفي في الظلم، بل نوالي كل مسلم حسب دينه واعتقاده وإيمانه، ونحن في النهاية حملة دعوة تسمى "الدعوة السلفية"، وهذه الدعوة منهج كامل لفهم الإسلام والعمل به والدعوة إليه.. وقد تضافر العلماء السلفيون على شرح هذه الدعوة وبيانها عبر القرون، وإلى يومنا هذا، ونحن على منهج هؤلاء العلماء العاملين، والفرق بيننا وبين غيرنا أننا لا نتعصب لهذا الاسم، ولا نعادي عليه، ولا نجعله شعارًا بديلاً

5- "ولعل كتاب الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- "التوحيد الذي هو حق الله على العبيد" يعد تطبيقًا أنموذجيًا لهذا العرض لسلفية ما قبل الخلاف على عموم المسلمين مع كون أشار بسهولة ويسر لبعض المسائل المشهورة لما بعد الخلاف".

عن الإسلام، بل نحن مسلمون أولاً وأخيرًا، والسلفية لا تعني عندنا أكثر من الفهم الصحيح للإسلام الموافق للكتاب والسنة والمتبع للسف الصالح -رضوان الله عليهم-، والعمل بذلك.

ولا يخفى أن تقسيم الأمة إلى سلفيين وغير سلفيين إنما أملاه واقع الأمة من عدة قرون لما ظهر مصطلح "الخف" في مقابلة "السلف" فصار مألوفا أن يقال: مذهب الخلف ومذهب السلف فهو تقسيم من صنع الخلف قبل أن يكون من صنع السلفيين أنفسهم؛ لذا كان من أقوالهم طريقة الخلف أحكم وأعلم، وطريق السلف أسلم وأحوط، مع أن الحق أن طريقة السلف أعلم وأحكم وأسلم، وصدق قائلهم:

كل خير في اتباع من سلف وكل شر في ابتداع من خلف

٩- هل اسم السلفية يعد بديلاً عن اسم أهل السنة والجماعة؟

ليس اسم "السلفية" بديلاً عن اسم "أهل السنة والجماعة" أو إلغاءً له، فإن المذهب السلفي هو مذهب أهل السنة والجماعة، والمنهج السلفي هو منهج "أهل الحديث"، وهذه الأسماء كلها أشبه بمرادفات لبعضها البعض، وكلها تشير إلى الفرقة الناجية التي أخبر النبي -صلى الله عليه وسلم- أنها على ما كان عليه -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه، وإنما تعددت الأسماء لها بغلبة اسم منها على هذه الفرقة في فترة من الفترات بحسب ظروف هذه الفترة، وما فيها من التطورات التي شهدها المسلمون.

١٠- ما هي التطورات التي مرت على المسلمين من بعد وفاة النبي -صلى الله عليه وسلم- وحتى ظهور مصطلح السلفية؟

عند وفاة الرسول -صلى الله عليه وسلم- كان الدين نقيًا غضًا كما أنزل، وامتاز جيل الصحابة -رضي الله عنهم- بحرصهم على حفظ هذا الدين نقيًا، فكانوا في مسائل الاعتقاد وأصول الدين على قلب رجل واحد، لم يختلفوا في أمور العقيدة في شيء، وقد قام الصحابة -رضي الله عنهم- بإرساء قواعد الدين ونشره في الآفاق، وبذلوا في ذلك الجهد الكبير، وما وقع بين الصحابة من اختلافات في الرأي ومنازعات بين بعضهم إنما كانت بعيدة كل البعد عن الأمور الاعتقادية، إذ كان الجميع على عقيدة دينية واحدة.

وقد شهد أواخر جيل الصحابة ظهور بعض الآراء الضالة المبتدعة لبعض التابعين الضالين، فكان ظهور الخوارج ثم التشيع، ولكن كان ذلك كله يمثل تيارًا ضعيفًا لا يقارن بجمهور الأمة؛ لذا كان الناس جماعة واحدة على ما كان عليه صحابة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لذا لم يحتاج الناس إلى اسم ولقب.

وفي عصر التابعين وتابعي التابعين أخذ علماؤهم بعلم الصحابة ودونت السنة، وأصبح العلم عند المسلمين مرتبطًا بأهل الحديث والأثر، العالمين والعاملين بهدي الصحابة -رضي الله عنهم-. لذا فكانت الفرقة الناجية وقتها هي: أهل الحديث.

ولما ظهر المعتزلة وزاد نفوذهم على رأس المائتين من الهجرة خاصة في خلافة المأمون العباسي، صار لقب "السني" يطلق في مقابل لقب "المعتزلي"، وصار المتمسك بمذهب أهل الحديث في مقابلة المتبع لعلماء الكلام.

ولما استفحل أمر المعتزلة حتى صار علماء أهل السنة يمتحنون على عقيدتهم، وتصدى لهم الإمام أحمد -رحمه الله- بعقيدته السلفية ومنهجه السلفي، صار الإمام أحمد علمًا لأهل السنة حتى كان يقال للرجل "حنبلي" أي من أهل السنة والجماعة.

ولما تصدى الأشاعرة للمعتزلة، وحاولوا نصرة عقائد أهل السنة والجماعة بمناهج وطرق المتكلمين، وزعموا أن هذه الطريقة أعلم وأحكم من طريقة السلف أهل السنة والجماعة، وأهل الحديث والأثر، الذين يقدمون النقل على العقل، وقالوا: نحن الخلف ننصر عقائد السلف بمنهج المتكلمين، فرفضهم أهل السن والجماعة داعين إلى نصرة عقائد السلف بمنهج وطريقة السلف دون غيرها، بتقديم الأدلة السمعية من الكتاب والسنة على أدلة المتكلمين العقلية.

وصار اسم "الخلف" يقابل اسم "السلف" ومن سار على عقيدة السلف ومنهجهم يلقب بـ"السلفي"؛ بالإضافة إلى أن المنهج الكلامي أوقع الخلف في مخالفات عديدة للعقيدة الصحيحة، كقولهم بتأويل بعض الصفات وقولهم: إن الإيمان هو التصديق، وأخرجوا منه العمل وقولهم بانعدام أثر المشيئة والقدرة الإنسانية في الفعل فاشبهوا قول الجبرية.

١١- اذكر حديث الفرقة الناجية ودلالته؟

قال -صلى الله عليه وسلم-: (افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة). قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: (الجماعة) أخرجه ابن ماجه والحاكم في المستدرك، وذكر الألباني في تحقيق السنة لابن أبي عاصم أن الإسناد جيد، كما في صحح الألباني إسناده في السلسلة الصحيحة برقم "٢٠٣، ١٤٩٢"، وصححه أيضًا في ظلال الجنة برقم "٦٣". كما أخرجه أبو داود وأحمد في المسند.

وفي رواية للحديث مرفوعة عند الترمذي: (مَا أنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي) (أخرجه الترمذي والحاكم في المستدرك، وصححه الألباني).

وقد ذكر الألباني في السلسلة الصحيحة أن هذه الزيادة بشواهدها ترتفع إلى مرتبة الحسن.

ويشبه هذا الحديث في المعنى حديث العرباض بن سارية المرفوع وفيه: (وإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافا كثيرًا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور..) الحديث رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه والدرامي وأحمد في المسند، وصحح الألباني إسناده في إرواء الغليل "٢٤٥٥"، وفي ظلال الجنة رقم "٣١"، "٥٤".

وفي الحديث دلالة على أن الفرقة الناجية هي على ما كان عليه النبي -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه، وهم أهل السنة والجماعة، وما عداهم فهالك، لذا قيل: السنة سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك.

١٢- اذكر حديث الطائفة المنصور مبينًا صفتها؟

حديث الطائفة المنصورة رواه الإمام مسلم -رحمه الله- في كتاب الإمارة.

فروى بسنده عن معاوية -رضي الله عنه- أنه قال وهو على المنبر: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: (لا تَزَالُ طَائِفَة مِنْ أُمَّتِي قَائِمَة بِأَمْرِ اللَّهِ لا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ أَوْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ عَلَى النَّاس).

قال النووي في شرح مسلم: "وأما هذه الطائفة فقال البخاري: هم أهل العلم، وقال أحمد بن حنبل إن لم يكونوا أهل الحديث فلا أدري من هم، قال القاضي عياض: إنما أراد أحمد أهل السنة والجماعة ومن يعتقد مذهب أهل الحديث" اهـ شرح مسلم للنووي، ط. دار الريان للتراث المجلد الخامس ج١٣، ص:٦٦-٦٧. وقال

النووي أيضًا ص:٦٧: "وفي هذا الحديث معجزة ظاهرة فإن هذا الوصف ما زال بحمد الله -تعالى- من زمن النبي -صلى الله عليه وسلم- إلى الآن ولا يزال حتى يأتي أمر الله المذكور في الحديث".

فالطائفة المنصورة: تدافع عن الحق وتقوم به فتظهر به على غيرها دائمًا، بالحجة والبرهان تارة، وبالسيف والسنان تارة، وتأخذ بأسباب النصرة المعنوية والمادية في جميع أحوالها.

والطائفة المنصورة: لا يضرها من خذلها بالتخلف عن نصرتها مع العلم بما هي عليه من الحق والصواب، ولا يضرها من عاداها وحاربها عنادًا ومكابرة، فهي تتحمل كل أذى وابتلاء، والله -عز وجل- ينصرها ويظهر أمرها على الناس.

وأفراد الطائفة المنصورة ليسوا بمعصومين كأفراد، شأنهم شأن خلق الله -تعالى- من غير الأنبياء، ولكنهم في الجملة أرجح في عموم أحوالهم من غيرهم، وأحق بنصر الله -تعالى-، وأقدر على تحمل مسئولية هذا الدين والقيام بحق أمانته من غيرهم، ولا يكون ذلك إلا بالعمل الصحيح والعقيدة السليمة والتمسك بالسنة النبوية.

والطائفة المنصورة هي: الطائفة القائمة بأمر الدين ولا تكون كذلك إلا إذا كانت من أهل السنة والجماعة وعلى منهج الصحابة والتابعين وتابعيهم.

١٣- ماذا نعني بقولنا: قواعد المنهج السلفي؟

ظهر اصطلاح السلف والسلفية واشتهر بعد ازدياد النزاع حول مسائل العقيدة بين الفرق الكلامية المختلفة، ولتمييز المذهب السلفي بمنهجه عن باقي المذاهب المبتدعة التي تدعي كل منها أنها على الحق كان لابد من بلورة المذهب السلفي في قواعد واضحة المعالم، تبين طريقة السلف في طرق الاستدلال، بشكل لا يلتبس معه الأمر على من يريد الاقتداء بالسلف، والسير على طريقتهم في الاستدلال والتعرف على مسائل العقيدة وأصول الدين.

ومن التتبع والاستقراء لطريقة السلف في الاستدلال كان استنتاج هذه القواعد المبينة للمنهج السلفي وأبرزها:

١- الاستدلال بالكتاب والسنة.

٢- تقديم النقل على العقل عند التعارض.

٣- رفض التأويل الكلامي.

٤- التمسك بفهم الصحابة للشرع.

١٤- ما مرادهم بالاستدلال بالكتاب والسنة؟

مسائل الدين أصولها وفروعها تأخذ من خطاب الشارع، فالحلال والحرام وأمور الاعتقاد إنما تعرف عن طريق الوحي، ولذلك تمسك السلف عند الاحتجاج في مسائل الدين بالاستدلال بالكتاب والسنة.

والشرع قد أمر بذلك: قال -تعالى-: (فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ) (النساء:٥٩)، والرد إلى الله هو الرد إلى كتابه، والرد إلى الرسول -صلى الله عليه وسلم- بعد وفاته يكون بالرد إلى سنته -صلى الله عليه وسلم- الصحيحة المدونة.

وقال -تعالى-: (قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلا الْبَلاغُ الْمُبِينُ) (النور:٥٤)، وقال -تعالى-: (إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى

اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) (النور:٥١)، وقال -تعالى-: (فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) (النساء:٦٥).

والآيات في هذا المعنى كثيرة وصريحة.

ونتيجة لتمسك السلف بهذه القاعدة الأساسية نجدهم قد اعتنوا بدراسة الكتاب والسنة عناية كبيرة وفائقة، تلاوة وحفظًا وفهمًا وتفسيرًا، حتى بلغ الشأن بهم أن يتعرفوا على حقائق الكتاب والسنة الدقيقة، ويستنبطوا منها الأحكام التفصيلية في الرد على التساؤلات العديدة المطروحة بين الناس دون الحاجة إلى علوم المتكلمين والمناهج التي شابها التخبط والاضطراب والتقلب، ولا تسلم من معارضة الخصوم وعدم تسليمهم بها واجتماعهم عليها، بخلاف أدلة الكتاب والسنة عند أهل السنة والجماعة والتي تجتمع عليها الكلمة وتنقاد لها النفوس راضية مطمئنة.

١٥- أهل السنة معروفون بتمسكهم بالسنة علمًا وعملاً واقتداءً، فما أهمية السنة في الشريعة الإسلامية؟ وهل السنة مكملة للقرآن الكريم؟

السنة النبوية أصل من أصول التشريع الإسلامي، والنبي -صلى الله عليه وسلم- كانت وظيفته أن يبين للناس ما أنزله الله عليهم؛ لذا فكل ما يبلغه عن ربه يجب اعتقاده والعمل به، وجاء في الحديث: (أَلا إِنِّي أُوتِيتُ الْقُرْآنَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ) (رواه أحمد وأبو داود، وصححه الألباني)، وقال -تعالى-: (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ) (النحل:٤٤)، وقال -تعالى-: (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى . إِنْ هُوَ إِلا وَحْيٌ يُوحَى) (النجم:٣-٤).

وقد بين العلماء دور السنة في تبيين القرآن الكريم، وهي على نوعين:

١- بيان اللفظ ونظمه، وهو تبليغ القرآن وعدم كتمانه، تقول السيدة عائشة -رضي الله عنها-: "ومن حدثكم أن محمدًا -صلى الله عليه وسلم- كتم شيئًا أمر بتبليغه فقد أعظم على الله الفرية. ثم تلت قوله -تعالى-: (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ) (المائدة:٦٧)".

٢- بيان معنى اللفظ أو الجملة أو الآية الذي تحتاج الأمة إلى بيانه، وأكثر ما يكون ذلك في الآيات المجملة أو العامة أو المطلقة، فتأتي السنة فتوضح المجمل وتخصص العام، وتقيد المطلق وذلك يكون بقوله -صلى الله عليه وسلم- كما يكون بفعله وإقراره.

١٦- نريد أمثلة توضيحية لذلك؟

الأمثلة على ذلك كثيرة، منها:

١- قوله -تعالى-: (وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا) (المائدة:٣٨)، فإن السارق فيه مطلق، وقطع اليد مطلق فبينته السنة فخصصت السارق بالذي يسرق ربع دينا فصاعدًا، قال -صلى الله عليه وسلم-: (لا تُقْطَعُ يَدُ السَّارِقِ إِلا فِي رُبْعِ دِينَارٍ فَصَاعِدًا) (متفق عليه)، أما قطع اليد فيكون من عند مفصل الرسغ وهو الكوع من اليد اليمنى كما ورد من فعله -صلى الله عليه وسلم- وفعل أصحابه وإقراره.

٢- قوله -تعالى-: (الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ) (الأنعام:٨٢)، فعموم الآية يشمل كل ظلم ولو كان صغيرًا، لذا استشكل فهم الآية على الصحابة -رضي الله عنهم-فسألوا: يا رسول الله أينا لم يلبس إيمانه بظلم؟ فقال -صلى الله عليه وسلم-: (إِنَّهُ لَيْسَ بِذَاكَ أَلا تَسْمَعُونَ إِلَى قَوْلِ لُقْمَانَ: (إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ) (متفق عليه).

٣- قوله -تعالى-: (حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ..) (المائدة:٣)، فعموم الآية تحريم كل أنواع الميتة وأي دم، فبينت السنة القولية أن ميتة الجراد والسمك حلال، وأن الكبد والطحال من الدم الحلال، قال -صلى الله عليه وسلم-: (أُحِلَّتْ لَكُمْ مَيْتَتَانِ وَدَمَانِ: فَأَمَّا الْمَيْتَتَانِ: فَالْحُوتُ وَالْجَرَادُ، وَأَمَّا الدَّمَانِ: فَالْكَبِدُ وَالطِّحَالُ) أخرجه البيهقي مرفوعًا وموقوفًا وإسناد الموقوف صحيح وله حكم الرفع؛ لأنه لا يقال من قبل الرأي.

٤- قوله -تعالى-: (قُلْ لا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ) (الأنعام:١٤٥).

والسنة جاءت فحرمت بعض الأشياء الغير واردة في الآية الكريمة، كنهيه -صلى الله عليه وسلم-: "عَنْ كُلِّ ذِي نَابٍ مِنْ السِّبَاعِ وَعَنْ كُلِّ ذِي مِخْلَبٍ مِنْ الطَّيْرِ" (رواه مسلم)، وكقوله -صلى الله عليه وسلم-: (إِنَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يَنْهَيَانِكُمْ عَنْ لُحُومِ الْحُمُرِ فَإِنَّهَا رِجْسٌ) (متفق عليه).

فلو لم نأخذ بالسنة النبوية في الأمثلة السابقة اكتفاءً بالقرآن؛ لكان القطع لكل اليد لكل سارق، وإن سرق شيئًا تافهًا، ولكان كل ظلم ولو يسير يمنع الأمن لصاحبه يوم القيامة وينفي عنه الإيمان والهداية، ولحرمنا الجراد والسمك، والكبد والطحال، ومنعنا أكلها، ولأحللنا أكل السباع وذوات المخالب من الطيور والحمر الإنسية وهذا واضح.

وتتضح أهمية السنة في التشريع بأنها هي التي بينت تفاصيل أحكام وكيفية الصلوات اليومية، وصيام رمضان، وإخراج الزكاوات من أنواعها المختلفة، وأداء الحج، ومعرفة شعائره فكلها واجبات جاء القرآن الأمر بها مجملاً ووضحتها وبينتها السنة النبوية بيانًا تفصيليًا شافيًا كافيًا، ولو ردت السنة أو تركت لم تعرف هذه الكيفيات التفصيلية لهذه العبادات التي هي أركان الإسلام وأعمدته الأساسية.

١٧- بعض الكتاب المعاصرين ينكر السنة النبوية ويدعي الاكتفاء بالقرآن الكريم ويسمون أنفسهم بالقرآنيين فما الحكم فيهم؟

إنكار السنة النبوية بدعوى الاكتفاء بالقرآن الكريم ضلال مبين، وقد حذرنا النبي -صلى الله عليه وسلم- من ضلال من يدعي ذلك، في الحديث الصحيح أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: (لاَ أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ مُتَّكِئًا عَلَى أَرِيكَتِهِ يَأْتِيهِ أَمْرٌ مِمَّا أَمَرْتُ بِهِ أَوْ نَهَيْتُ عَنْهُ فَيَقُولُ: لاَ أَدْرِى مَا وَجَدْنَا فِي كِتَابِ اللَّهِ اتَّبَعْنَاهُ) رواه الترمذي، وفي رواية: (فَمَا وَجَدْنَا فِيهِ حَلاَلاً اسْتَحْلَلْنَاهُ وَمَا وَجَدْنَا فِيهِ حَرَامًا حَرَّمْنَاهُ وَإِنَّ مَا حَرَّمَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- كَمَا حَرَّمَ اللَّهُ).

والآيات القرآنية صريحة في الأمر بالتمسك بسنته -صلى الله عليه وسلم- والعمل بها، قال الله -تعالى-: (مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا) (النساء:٨٠)، وقال: (فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) (النساء:٦٥)، وقال -تعالى-: (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالا مُبِينًا) (الأحزاب:٣٦)، وقال -تعالى-: (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) (الحشر:٧).

١٨- ما المراد بتقديم النقل على العقل؟

نهج السلف أن يبدؤوا بالشرع أولاً.. يعملون النظر في فهمه ودراسته، فما دلهم عليه أخذوا به، ومن ثمَّ يخضعون العقل بعد ذلك للشرع.. ويقدمون الرواية على النظر العقلي على طريقة المتكلمين.

ولا يعني ذلك عندهم أن العقل يعارض الشرع، ولكن هذا التعارض إنما هو في ذهن المتكلمين وزعمهم إذا خالفوا الشرع فيما جاء به، كما أن الشرع يأتي بمحارات العقول، وهو لا يأتي أبدًا بمحالات العقول، وعند التحقيق: فلا يتعارض نقل صحيح مع نظر عقلي سليم، والنقل الصحيح حجة، والنظر العقلي تابع للدليل السمعي.

أما المتكلمون فإنهم يقدمون أدلتهم العقلية على الأدلة السمعية، فيبدؤون في البحث عما تقبله عقولهم وترضاه أقواله، ثم يخضعون لها نصوص الشرع، وهم يرون أن الأدلة العقلية قطعية، وأن الأدلة النقلية ظنية، فيعمدون إلى تأويل ما خالف آرائهم من الأدلة الشرعية حتى توافق ما ذهبوا إليه، مع أن ما يسمونه أدلة عقلية مخالفة للنصوص إنما هي شبهات تدل العقول السليمة على بطلانها.

١٩- هل يتصور وقوع التعارض والتضاد بين دليل عقلي صحيح ودليل نقلي صحيح؟

الأصل الثابت أنه لا يمكن أن يكون في الحقيقة أي تعارض بين نقل صحيح وعقل صريح، فإذا ورد ما يوهم هذا التعارض فهو أحد أمرين:

١- إما أن يكون النقل صحيحًا ثابتًا، فما يزعمه البعض من أن الدليل العقلي يعارضه إنما هو ليس بدليل معتبر عند تحقيق النظر فيه، أو يكون تدخلاً بالعقل في أمور غيبية لا يدركها العقل ولا مجال له فيها، وإنما الواجب فيها الانقياد للشرع وتصديقه فيما أخبر به من غيبيات.

٢- وإما أن يكون الدليل النقلي ليس بصحيح، فهو لا يصلح للمعارضة ولا يحتج به.

ولا يخفى أن دلالة العقل متغيرة والعلوم النظرية ليست ثابتة ونظرياتها عرضة للتقلب والتطور، فكيف تبنى عليها أحكام شرعية تكون مقبولة يومًا ومردودة في آخر، خاصة وأن العلم لم ولن يكتمل وعلم الله وحده هو العلم الكامل.

ومعلوم أن مبنى العبودية على التسليم لله وعدم السؤال عن تفاصيل الحكمة في الأوامر والنواهي والشرائع، فما عقل معناه قبلناه، وما جهلنا حكمته تركناه، وليس من الصلاح الاعتراض على مقالات الوحي وأحكامه وربط الانقياد للشرع بقبول العقل له، ولكن ما عرفناه من الحكمة أخذناه، وما خفي علينا لا نوقف انقيادنا وتسليمنا له على معرفة حكمته وقبول عقولنا له.

٢٠- ما المراد بالتأويل عند المتكلمين؟

التأويل في اصطلاح المتكلمين: إنما يعني اتخاذ العقل أصلاً يكون النقل تابعًا له إذا ظهر عندهم تعارض في زعمهم بين الأدلة العقلية والنصوص الشرعية فيؤول النص الشرعي ليوافق الدليل العقلي.

والتأويل في اصطلاح المتأخرين: هو صرف اللفظ عن ظاهره المتبادر منه إلى احتمال آخر مرجوح لدليل يقتضي ذلك.

ولا يخفى أن الأدلة العقلية الكلامية لا تصلح كدليل لصرف الأدلة الشرعية عن معانيها، وإنما الحجة في الأدلة الشرعية لا في غيرها.

٢١- ما المراد بالتحريف؟

التحريف هو التغيير والتبديل، مأخوذ من قولهم: حرفت الشيء عن وجهه حرفًا، من باب ضرب إذا أملته وغيرته، والتشديد للمبالغة.

وتحريف الكلام تفسيره بغير المعنى المتبادر منه.

وفعل المتكلمين في تفسير النصوص الشرعية المتعلقة بالأسماء والصفات من صور التحريف، كقول الجهمية والأشاعرة "استوى" بمعنى: "استولى".

وقول الأشاعرة: (وَجَاءَ رَبُّكَ) (الفجر:٢٢)، بمعنى: جاء أمر ربك.

وتفسير المبتدعة "اليدين" بالنعمة أو القدرة.

ونصب بعض المبتدعة لفظ الجلالة في قوله -تعالى-: (وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا) (النساء:١٦٤).

٢٢- ما المراد برفض التأويل الكلامي؟

القرآن كلام الله -تعالى- المنزل على نبيه -صلى الله عليه وسلم-، نزل باللسان العربي المبين، أمرنا الله باتباعه وفهمه والعمل بمقتضاه، والأصل في اللغة إجراء الخطاب على ظاهره.

لذا كان من سمات المنهج السلفي في الاستدلال الأخذ بظاهر النصوص الشرعية خاصة في مسائل الاعتقاد.

وظاهر النصوص هو ما يتبادر منها من المعاني بحسب استعمال العرب لها.

ولهذا يرفض السلفيون أي صرف للنصوص الشرعية عن ظاهر معانيها بإجراء النصوص على ظاهرها، خاصة في أسماء الله -عز وجل- وصفاته الواردة في الكتاب والسنة، فقالوا فيها: إثباتها كما جاءت في الكتاب الكريم والسنة النبوية الصحيحة المطهرة على الوجه اللائق بجلال الله وكماله، بلا تشبيه للخالق بالمخلوق، وبلا تمثيل، وبلا تحريف أو تعطيل أو تأويل، قال -تعالى-: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) (الشورى:١١).

أما المتكلمون فقد كونوا اعتقادهم عن ذات الله -عز وجل- وأسمائه وصفاته من خلال أقوال الفلاسفة والمتكلمين ومنهجهم، ومن ثمَّ عمدوا إلى تأويل النصوص الشرعية إلى خلاف معانيها الظاهرة المتبادرة منها بدعوى التنزيه لله -عز وجل-، ومن ثمَّ تخبطوا في ذلك واضطربوا اضطرابًا شديدًا بين معتزلة وأشعرية وكلابية وجهمية وغلاة الباطنية[6]... الخ.

٢٣- لماذا حكمتم على منهج المتكلمين في تأويل النصوص الشرعية بالأدلة العقلية بالبطلان والرفض؟

إن منهج المتكلمين في تأويل النصوص بأدلتهم العقلية باطل من وجوه، منها:

١- أن هذا النوع من التأويل للنصوص لتوافق أقوال المتكلمين هو في حقيقته تحريف للنصوص.

٢- أنه لا يجوز شرعًا معارضة كلام الله -عز وجل- بالمصطلحات الكلامية التي هي من وضع عقول البشر التي هي عرضة للخطأ والصواب.

٣- أن موافقتهم فيما ذهبوا إليه فيه تقليل من قيمة أدلة الكتاب والسنة، فتصير غير كافية للاستقلال بالاستدلال، بل تابعة للأدلة العقلية للمتكلمين.

٤- أن تقديم الأدلة العقلية يعني صرف الناس عن دراسة الكتاب والسنة، وصرف الهمم إلى الاعتناء بالأدلة العقلية وعلوم الكلام إذ هي المقدمة عندئذ على الأدلة الشرعية.

٢٤- ما معنى قولهم: الشرع يأتي بمحارات العقول لا بمحالاتها؟

محارات العقول: ما تحتار العقول في الإحاطة بها.

6- غلاة الجهمية وغلاة الشيعة ليسوا من فرق الأمة، بل خارجون عنها بالكلية (وكتبه: ياسر برهامي).

محالات العقول: ما يستحيل عقلاً وجوده أو وقوعه.

المراد: أن الشرع قد يأتي بأمور تحتار العقول البشرية في إدراكها والإحاطة بها، ولكنها ليست مستحيلة الوجود عقلاً.

مثال ذلك: الإيمان بالملائكة، صفاتها، أصل خلقتها، وظائفها وأعمالها، كلها من الإيمان بالغيب، عرف ذلك من النصوص المتواترة في الكتاب والسنة، وهي أمور تحتار العقول في معرفة حقيقتها، ولكن وجودها غير مستحيل عقلاً.

وفي العلم الحديث: أصبحنا ندرك أن هناك مخلوقات عديدة حولنا لا ترى كالميكروبات الدقيقة التي لا ترى بالعين المجردة، وترى بالوسائل المكبرة "الميكروسكوبات" وكذلك الهواء لا يرى، ولكن وجوده ثابت من خلال آثاره الظاهرة حولنا. والكهرباء لا ترى وندرك وجودها من خلال تأثيرها في أجهزتنا الكهربائية.. الخ.

٢٥- لماذا يتمسك السلفيون برفض منهج المتكلمين؟

يرجع رفض السلفيين لمنهج المتكلمين وآرائهم العقلية لأمور، منها:

١- أن في الكتاب والسنة الغنى التام عن كل ما سواهما في أمور الدين وأحكامه، وهذا الدين قد كمل بختام بعثة النبي -صلى الله عليه وسلم-، والنبي -صلى الله عليه وسلم- قد بيَّن للأمة كل ما تحتاج إليه في دينها أتم بيان؛ لذا فما لم يكن في عهده -صلى الله عليه وسلم- من الدين فليس من الإسلام في شيء.

٢- أن مصطلحات المتكلمين لم ترد في الكتاب والسنة، وقد أدى استخدامها إلى ظهور الفتن في صفوف المسلمين، وتعدد المنازعات والخصومات فتعددت الفرق والمعتقدات لعدم الاتفاق على مدلولات هذه المصطلحات وتراكيبها، أما الرد للكتاب والسنة فيجنب الأمة تلك الويلات.

٣- عدم قدرة معظم المسلمين على النظر في هذه العلوم العقلية واستيعابها، بينما لا يجد جمهور المسلمين على اختلاف مستوياتها وقدراتهم أي صعوبة في فهم الكتاب والسنة لوضوحهما، كما قال -تعالى- في وصف كتابه الكريم: (وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ) (القمر:١٧).

٤- علم الكلام مضيعة للأوقات والجهد، ولو صرف ذلك لدراسة الكتاب والسنة لأثمر على المتكلمين غيرهم غاية الإثمار.

٥- إن مسائل الغيب إنما هي بيان الأنبياء والرسل، فهم وحدهم الذين يبلغون عن الله -تعالى- دينه، ولا مجال للمتكلمين وعقولهم للخوض فيها، إذ الغيبيات لا تدرك بالمجادلات والمناقشات العقلية.

٢٦- هل ورد عن السلف أقوال في ذم علم الكلام والاشتغال به؟

نعم وردت عن السلف الأقوال الكثيرة في ذم علم الكلام والانشغال به عن العلوم الشرعية، فمن ذلك:

قول الشافعي: "لأن يبتلى العبد بكل ما نهى الله عنه ما عدا الشرك خير له من أن ينظر في علم الكلام".

وعنه قال: "حكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد، ويطاف بهم في العشائر والقبائل، ويقال: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأخذ في الكلام".

وقال الإمام أحمد: "لا يفلح صاحب كلام أبدًا".

وعن مالك: "من طلب الدين بالكلام تزندق".

وعن عبد الله بن المبارك: "أجمع أهل الفقه والآثار في جميع الأمصار أن أهل الكلام أهل بدع وزيغ، ولا يعدون عند الجميع في طبقات العلماء، وإنما العلماء أهل الأثر والتفقه فيه، ويتفاضلون فيه بالإتقان والميز والفهم".

وعن الأوزاعي: "اصبر نفسك على السنة، وقف حيث وقف القوم، وقل فيما قالوا، وكف عما كفوا".

وعن سفيان الثوري: "عليكم بالأثر وإياكم والكلام في ذات الله".

وعن الإمام الذهبي قال: "قلَّ من أمعن النظر في علم الكلام إلا وأداه اجتهاده إلى القول بما يخالف السنة، ولهذا ذم علماء السلف النظر في علم الكلام، فإن علم الكلام مولد من علم الحكماء والدهرية".

وعن ابن قتيبة قال: "فأما الكلام فليس من شأننا، ولا أرى أكثر من هلك إلا به"*.

بل إن بعض كبار أئمة علماء الكلام أنفسهم ورد عنهم ذم الاشتغال بعلم الكلام في أواخر حياتهم بعد أن تبين لهم أنه مضيعة للوقت والجهد، وأن الانشغال بالعلم الشرعي: الكتاب والسنة أولى وأسلم وأعلم وأحكم.

فعن الرازي قوله: "لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فيما رأيتها تشفي عليلاً، ولا تروي غليلاً، ورأيت أقرب الطرق: القرآن".

وقال: "من جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي".

وعنه قال: "ولقد اختبرت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيت فيها فائدة تساوي الفائدة التي وجدتها في القرآن العظيم؛ لأنه يسعى في تسليم العظمة والجلال بالكلية لله -تعالى-، ويمنع من التعمق في إيراد المعارضات والمتناقضات، وما ذلك إلا للعلم بأن العقول البشرية تتلاشى وتضمحل في تلك المضايق العميقة والمناهج الحقية".

وعن أبي الوفاء بن عقيل أنه قال لبعض أصحابه: "أنا أقطع -أوقن- أن الصحابة ماتوا وما عرفوا الجوهر والعرض -من مصطلحات الفلاسفة والمتكلمين-، فإن رضيت أن تكون مثلهم فكن، وإن رأيت أن طريقة المتكلمين أولى من طريقة أبي بكر وعمر فبئس ما رأيت".

وقال الوليد بن أبان الكرابيسي لبنيه حين حضرته الوفاة يوصيهم: "هل تعلمون أحدًا أعلم بالكلام مني؟ قالوا: لا، قال: فتتهموني؟ قالوا: لا، قال: فإني أوصيكم، أتقبلون؟ قالوا: نعم، قال: عليكم بما عليه أهل الحديث، فإني رأيت الحق معهم".

وعن أبي المعالي الجويني: "لقد جلت أهل الإسلام جولة، وعلومهم، وركبت البحر الأعظم، وغصت في الذي نهوا عنه، كل ذلك في طلب الحق، وهربًا من التقليد، والآن فقد رجعت عن الكل إلى كلمة الحق، عليك بدين العجائز، فإن لم يدركني الحق بلطيف بره فأموت على دين العجائز، ويختم عاقبة أمري عند الرحيل بكلمة الإخلاص فالويل لابن الجويني".

---

*- ونقولات العلماء عن السلف في ذم الرأي وعلم الكلام كثيرة، وراجع في ذلك -إن شئت- مقدمة شرح العقيدة الطحاوية، ط. الشيخ أحمد شاكر. منهاج السنة النبوية، وبيان موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول، وكتاب النبوات، والفتوى الحموية وكلها لشيخ الإسلام ابن تيمية.

والصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، واجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية، وكلاهما لابن القيم.

وانظر تفسير قوله -تعالى-: (أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا) (محمد:٢٤)، للشنقيطي في أضواء البيان.

وانظر صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام للحافظ السيوطي.

وانظر الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم لابن الوزير اليماني ج ١٦٨/٢ ط. السلفية بالقاهرة ١٣٨٥هـ.

وعنه: "لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما اشتغلت بالكلام".

وعنه: "يا أصحابنا لا تشتغلوا بالكلام فلو عرفت أن الكلام يبلغ بي ما بلغ ما اشتغلت به".

وعن الغزالي: "من أشد الناس غلوًا أو إسرافًا طائفة من المتكلمين كفروا عوام المسلمين، وزعموا أن من لا يعرف الكلام معرفتنا، ولم يعرف العقائد الشرعية بأدلتها التي حررناها فهو كافر، فهؤلاء ضيقوا رحمة الله أولاً، وجعلوا الجنة وقفًا على شرذمة يسيرة من المتكلمين".

٢٧- هل كل تأويل للأدلة الشرعية مرفوض بإطلاق؟

ليس كل تأويل للأدلة الشرعية مقبولاً، وليس كل تأويل للأدلة الشرعية مرفوضًا، ولكن هناك تفصيل:

فأما معارضة الأدلة الشرعية الثابتة بأدلة عقلية للمتكلمين في أمور العقيدة، ومحاولة تأويل الدليل الشرعي لإخضاعه للدليل العقلي فهذا باطل مرفوض، والواجب تقديم الدليل النقلي على الدليل العقلي.

فأما معارضة الدليل الشرعي بدليل شرعي آخر يخالفه في الدلالة، فهذا قد يكون مقبولاً إذا انتفت الطرق الأخرى للجمع بين الدليلين اللذين ظاهرهما التعارض، فيكون التأويل عندئذ طريقة من طرق الجمع بين الدليلين؛ لئلا يرد منها دليل رد إنكار وإبطال له، شريطة أن يكون الدليل الصارف للدليل الذي سيؤول دليل صحيح ثابت.

وعليه فالتأويل وهو صرف الدليل الشرعي عن ظاهره إلى معنى آخر يتحمله الدليل بدلالة دليل شرعي آخر أنواع:

١- تأويل مقبول: وفيه يكون الدليل الصارف عن المعنى الظاهري المتبادر دليل صحيح ثابت، وله شروط:

أ- أن يكون اللفظ مستعملاً بالمعنى المجازي في لغة العرب.

ب- أن يدل عليه دليل صحيح.

ج- أن يسلم الدليل من معارض.

د- إذا كانت المسألة من مسائل الاعتقاد فلابد أن يكون الدليل صريحًا من الكتاب والسنة "راجع الرسالة المدنية لشيخ الإسلام".

٢- تأويل مردود: وفيه يكون الدليل الصارف دليل ضعيف لا يحتج به أو لا يقوى على معارضة الدليل الشرعي الأول.

٣- تأويل باطل: وفيه يكون الدليل الصارف ليس بدليل شرعي أصلاً ليعارض به الدليل الشرعي الأول.

٢٨- مرة أخرى: ما أهمية معرفة قواعد المنهج السلفي؟

قواعد المنهج السلفي تتضمن:

١- الاستدلال بالكتاب والسنة.

٢- تقديم النقل على العقل.

٣- رفض التأويل الكلامي.

٤- التمسك بفهم الصحابة للكتاب والسنة.

هذه القواعد تفرق بين منهج أهل الحديث والسنة، ومنهج المتكلمين، فالمنهج السلفي يتمسك بالأدلة الشرعية دون غيرها، وعمدتها كتاب الله وسنة رسوله -صلى الله عليه وسلم-، وما أخذ عنهما: كالقياس والإجماع وقواعد الفقه المستنبطة منهما، فالأحكام الشرعية خطاب الله -عز وجل- وحده -لا غيره- المكلف بها عباده

فإنه عارضها معارض برأي أو قول أو دليل يزعم أنه دليل عقلي قدم الدليل النقلي السمعي من الكتاب والسنة على هذا الرأي أو القول المخالف المعارض، وفهم الصحابة -رضي الله عنهم- للدين خاصة عقائده التي أجمعوا عليها هو حجة في الدين فليس بوسع المسلم رده ومعارضته، ولهذا يرفض أي إخضاع للدليل النقلي للدليل العقلي بدعوى التأويل ليوافق الدليل النقلي الدليل العقلي.

على أنه عند التمحيص والتدقيق والتحقيق فإنه لا يمكن أن يتعارض دليل نقلي صحيح مع دليل عقلي صريح، وإن ظن المعارضة من وهم العقول التي لم تُحط علمًا بدقائق الكتاب والسنة أو ظنت فيما خالفهما الدلالة القطعية اليقينية، وليس الأمر على ما ظنت وتوهمت.

٢٩- اذكر باختصار مذهب السلف في إثبات أسماء الله -تعالى- وصفاته؟

مذهب السلف في الأسماء والصفات إثبات ما وصف الله -تعالى- به نفسه في كتاب الكريم، أو وصفه به رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في سنته الثابتة، والتسليم بها، وإجراؤها على معانيها الظاهرة، والإيمان بما تقتضيه على الوجه اللائق بجلال الله -عز وجل- وكماله، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تمثيل أو تشبيه، ومن غير تأويل أو تكييف.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في العقيدة الواسطية مبينًا مذهب السلف: "فلا ينفون عنه ما وصف به نفسه، ولا يحرفون الكلم عن مواضعه، ولا يلحدون في أسماء الله وآياته، ولا يكيفون ولا يمثلون صفاته بصفات خلقه؛ لأنه -سبحانه- لا سمي له، ولا كفء له، ولا ند له، ولا يقاس بخلقه -سبحانه وتعالى-، فإنه أعلم بنفسه وبغيره، وأصدق قيلاً وأحسن حديثًا من خلقه، ثم رسله صادقون مصدقون بخلاف الذين يقولون عليه ما لا يعلمون، ولهذا قال: (سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ . وَسَلامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ . وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) (الصافات:١٨٠-١٨٢)، فسبح نفسه عما وصفه به المخالفون للرسل، وسلم على المرسلين لسلامة ما قالوه من النقص والعيب، وهو قد جمع فيما وصف وسمى نفسه بين النفي والإثبات، فلا عدول لأهل السنة والجماعة عما جاء به المرسلون، فإنه الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم الله عليهم مِن النبيين والصديقين، والشهداء والصالحين" اهـ.

٣٠- هل التفويض في الأسماء والصفات هو مذهب السلف؟

السلف ليسوا مفوضة تفويض المعنى في باب الأسماء والصفات، فإن المفوضة التفويض عندهم يعني تفويض المعنى، أي الإيمان بأنه ليس للأسماء والصفات معنى يعرف، فلا يفيد اسم (السميع) اتصافه -تعالى- بالسمع، ولا يفيد اسم (البصير) اتصافه -تعالى- بالبصر.. وهكذا.. فيصير ذكر هذه الأسماء لله -تبارك وتعالى- لا يفيد معنى، فهي عندهم بمنزلة الكلام الأعجمي والمحصلة تعطيل هذه الأسماء والصفات، والسلف كما ذكرنا يثبتون للأسماء معنى مفهومًا من ظاهر الاسم والوصف، ولكن لا يثبتون لها كيفية، فيرون لها كيفية لا يعلمها إلا الله -تعالى-، فالمعنى من اللغة معروف، والكيفية هي المجهولة.

وبتعبير أدق: فالسلف لا يفوضون المعنى في الأسماء والصفات، ولكنهم يفوضون الكيفية فيتركون تكييفها ولا يتكلمون في الكيفية.

فتفويض الكيف مذهب السلف، وتفويض المعنى ليس من مذهبهم ومآله إلى التعطيل والنفي للأسماء والصفات.

يقول العلامة محمد خليل هراس -رحمه الله- عن التفويض في الأسماء والصفات: "ومن الخطأ القول بأن هذا هو مذهب السلف كما نسب ذلك إليهم المتأخرون من الأشاعرة وغيرهم، فإن السلف لم يكونوا يفوضون في علم المعنى، ولا كانوا يقرؤون كلامًا لا يفهمون معناه، بل كانوا يفهمون معاني النصوص من الكتاب والسنة ويثبتونها لله -عز وجل-، ثم يفوضون فيما وراء ذلك من كنه الصفات أو كيفياتها، كما قال مالك حين سئل عن كيفية استوائه -تعالى- على العرش: "الاستواء معلوم والكيف مجهول".

قال الله -تعالى-: (كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ) (ص:٢٩)، ولم يستثن من التدبر والفهم متشابهًا ولا غيره.

٣١- ما المراد بالتكييف للأسماء والصفات؟

التكييف: تعيين الكنه. يقال: كيَّف الشيء أي: جعل له كيفية معلومة.

والفرق بين التكييف والتمثيل:

التكييف: أن يعتقد أن صفات الله -تعالى- على كيفية كذا.. أو يسأل عنها بكيف؟

وأما التمثيل: فهو اعتقاد أنها مثل صفات المخلوقين.

وليس مراد السلف من نفي التكييف نفي الكيف مطلقًا، وإلا كان تعطيلاً فإن كل شيء موجود لابد أن يكون على كيفية ما، وصفات الله -تعالى- لها كيفية، ولكن لا تصل إليها عقولنا القاصرة، وأنى للمخلوق أن يحيط بالخالق -عز وجل-، قال الله -تعالى-: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) (الشورى:١١)، وقال -تعالى-: (هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا) (مريم:٦٥)، ولكن المراد من نفي الكيف نفي علمنا بالكيف، إذ لا يعلم كيفية ذاته وصفاته -عز وجل- إلا هو -سبحانه-.

ولا يجوز أن نقول عن السلف أنهم يثبتون الصفات بلا كيف، ولكن هم يثبتونها بكيفية لا يعلمها إلا الله -عز وجل-؛ لذا فعقيدتهم: إثبات الصفات بلا تكييف.

أي يؤمنون أن لها كيفًا يليق بالله -سبحانه وتعالى- لا يعلمها إلا الله، ولا نكيفها بعقولنا.

وهذا كما لا يخفى جمع بين إثبات الصفات مع التنزيه عن التشبيه والتمثيل.

٣٢- ما المراد بالتعطيل؟

التعطيل: مأخوذ من العطل. وهو الخلو والفراغ والترك، ومنه قوله -تعالى-: (وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ) (الحج:٤٥)، أي بئر أهملها أهلها وتركوها.

والمراد بالتعطيل هنا: نفي الصفات الإلهية وإنكار قياما بذاته -تعالى-.

والتعطيل للأسماء والصفات الإلهية مذهب الجهمية والمعتزلة.

٣٣- ما المراد بالتشبيه والتمثيل؟

التشبيه والتمثيل يستعملان اصطلاحًا بمعنى واحد، والمراد هنا: اعتقاد مشابهة الخالق بالمخلوق، وتمثيل صفاته بصفاتهم.

والتشبيه قسمان:

الأول: تشبيه المخلوق بالخالق، كتشبيه النصارى المسيح ابن مريم بالله، وتشبيه اليهود عزيرًا بالله، وكتشبيه المشركين أصنامهم بالله، تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا.

والثاني: تشبيه الله -عز وجل- بخلقه، فيقولون: له وجه كوجه المخلوق، ويد كيد المخلوق، وسمع كسمع المخلوقين، ونحو ذلك، تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا.

٣٤- ما هي الأدلة التي تشهد لفضل الصحابة وتقدمهم في فهم الدين على من يجيء بعدهم؟

الأدلة على ذلك كثيرة من كتاب الله -تعالى-، ومن سنة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأقوال السلف الصالح:

١- من كتاب الله -تعالى-: قال الله -تعالى-: (فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا) (البقرة:١٣٧).

وقال الله -تعالى-: (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ) (آل عمران:١١٠).

وقال -تعالى-: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ) (البقرة:١٤٣).

وأول وأولى من خوطب بهذه الآيات صحابة النبي -صلى الله عليه وسلم-، وقال -تعالى-: (وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) (التوبة:١٠٠).

ورضا الله -تعالى- عن المهاجرين والأنصار شهادة من الله بالخيرية.

وقال -تعالى-: (لا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى) (الحديد:١٠).

فالوعد بالحسنى لهم إشارة واضحة إلى فضلهم، وقال -تعالى-: (لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ . وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ . وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ) (الحشر:٨-١٠)، فشهد الله -عز وجل- للمهاجرين بالصدق وللأنصار بالفلاح، والآيات في ذلك عديدة.

٢- من سنة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: (خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي) (رواه البخاري ومسلم)، وفي حديث آخر مرفوعًا: (إِنَّ خَيْرَكُمْ قَرْنِي) (رواه مسلم)، وعند مسلم أيضًا: (الْقَرْنُ الَّذِي أَنَا فِيهِ).

وعند البخاري ومسلم مرفوعًا: (لا تَسُبُّوا أَصْحَابِي فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلا نَصِيفَهُ).

وعند مسلم مرفوعًا: (وَأَصْحَابِي أَمَنَةٌ لأُمَّتِي فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي أَتَى أُمَّتِي مَا يُوعَدُونَ).

وقال -صلى الله عليه وسلم-: (فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ).

وقال -صلى الله عليه وسلم-: (مَا مِنْ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللَّهُ فِي أُمَّةٍ قَبْلِي إِلا كَانَ لَهُ مِنْ أُمَّتِهِ حَوَارِيُّونَ وَأَصْحَابٌ يَأْخُذُونَ بِسُنَّتِهِ وَيَقْتَدُونَ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِنَّهَا تَخْلُفُ مِنْ بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ يَقُولُونَ مَا لا يَفْعَلُونَ وَيَفْعَلُونَ مَا لا يُؤْمَرُونَ فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِيَدِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِلِسَانِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الإِيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ) (رواه مسلم).

وقال -صلى الله عليه وسلم- في الفرقة الناجية: (مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي) وهذه الرواية تبلغ مرتبة الحسن.

٣- من أقوال السلف الصالح: قول ابن مسعود -رضي الله عنه- قال: "إن الله نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد خير قلوب العباد، فاصطفاه وابتعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد -صلى الله عليه وسلم- فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد فجعلهم وزراء نبيه، يقاتلون على دينه، فما رآه المسلمون حسنًا فهو عند الله حسن، وما رأوه سيئًا فهو عند الله سيء".

وعن ابن عمر -رضي الله عنهما-: "كان أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- خير هذه الأمة قلوبًا، وأعمقهم علمًا، وأقلهم تكلفًا، اختارهم الله -عز وجل- لصحبة نبيه ونقل دينه".

٣٥- ما المراد بالتمسك بفهم الصحابة للشرع؟

يقوم المذهب السلفي على التمسك بالكتاب والسنة وفق فهم الصحابة -رضي الله عنهم-، ومن أخذ عنهم من التابعين وتابعي التابعين ومن تابعهم بإحسان، فيقدمون فهمهم على كل فهم للكتاب والسنة، خاصة في أبواب العقائد وفيما أجمعوا عليه.

فالصحابة -رضي الله عنهم- في مسائل الاعتقاد كانوا على اعتقاد واحد لم ينقل عنهم فيه اختلاف، لذا فلا يقبل عند أهل السنة والجماعة الخروج عما كانوا عليه من اعتقاد -رضي الله عنهم-، فإجماع الصحابة حجة، وأولى ما يحتج به إجماعهم في مسائل التوحيد وأصول الدين؛ لذا يحتج السلفيون على مخالفيهم بما كان عليه صحابة النبي -صلى الله عليه وسلم-[٧].

ومعلوم أن الاختلاف في مسائل الاعتقاد إنما ظهر وذاع بعد جيل الصحابة -رضي الله عنهم-، فأهل البدع هم الذين بدلوا وغيروا في عقائد الدين وخرجوا عما كان عليه الصحابة -رضي الله عنهم- من اعتقاد.

وقد نبه النبي -صلى الله عليه وسلم- على ما يجب أن تكون عليه الأمة في مسائل الاختلاف من بعده، فقال -صلى الله عليه وسلم-: (فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلاَفًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ).

وقال -صلى الله عليه وسلم-: (مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ) (متفق عليه)، وقال -صلى الله عليه وسلم- في صفة الفرقة الناجية أنها على ما كان عليه هو -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه -رضي الله عنهم-.

٣٦- ما هي أهداف الدعوة السلفية؟ وما هو منهج الدعوة لتحقيقها؟

منهج الدعوة السلفية يمكن تلخيصه في الآتي:

أولاً: الدعوة إلى الإيمان بمعانيه وأركانه كلها: من معرفة الله بأسمائه وصفاته، والتعبد له بها، وتوحيد الربوبية والألوهية، والكفر بالطاغوت، ومحاربة الشرك في كل صوره القديمة والحديثة، من شرك القبور والخرافات وشرك الحكم والولاء وغير ذلك. وكذا الإيمان بالملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر، والقضاء والقدر، وما يتبع ذلك من قضايا الاعتقاد في الصحابة، ومسائل الإيمان والكفر، وتحقيق الاتباع للسنة ومحاربة البدعة، وتقرير مناهج الاستدلال وتحقيق التزكية عبادة وخلقًا ومعاملة، والسير في طريق الدعوة، وإقامة الدين، وإعلاء كلمة الله في الأرض، كل هذا على وفق منهج أهل السنة والجماعة إجمالاً وتفصيلاً.

نقرر أن الدعوة إلى الإيمان بهذا المفهوم الشامل في أصل دعوة الرسل، وهي الطريق الذي سار عليه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وصحابته، فهذا المنهج هو أولى الأولويات في العمل، والذي لا يتحقق أي واجب بعده بدون هذا الواجب الأول.

7- فما أجمع عليه الصحابة وأهل العلم بعدهم في عقيدة أو عمل فلا يسوغ لأحد مخالفته كائنًا من كان.

وهذا المنهج تجب الدعوة إليه بكل الطرق، وتربية الناس عليه بالوسائل العامة كالخطابة والدرس الجامع والكتاب والنشرات العامة وقوافل الدعوة، وغير ذلك من الوسائل الخاصة كالدرس الخاص والمعاهد العلمية والمجموعات التربوية وغيرها.

ثانيًا: إيجاد الطائفة المؤمنة: إن إيجاد الطائفة المؤمنة الملتزمة بالإسلام -عملاً من أجله- المجتمعة على إقامة فروض الكفاية المضيعة وبكل ما أوتيت من قدرة، والساعية في نفس الوقت لتحصيل أسباب القدرة فيما تعجز عنه في الحال، تحديثًا للنفس به، وحبًا للخير، وحرصًا عليه، ونصيحة للمسلمين، واهتمامًا بشأنهم، نرى إن إيجاد هذه الطائفة المؤمنة على منهج أهل السنة والجماعة والتي يجتمع عليها باقي أهل السنة هو من أهم الواجبات والأولويات.

وهذه الطائفة تسعى إلى أن يكون أفرادها في خاصة أنفسهم يؤدون الواجبات العينية عليهم في العقيدة والعبادة والسلوك والمعاملة والخلق، ويتركون المحرمات، كما أنهم ملتزمون بالتعاون المنضبط على إقامة الفروض التي خوطبت بها الأمة ككل، كالتعلم والتعليم، قال الله -تعالى-: (فَلَوْلا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ) (التوبة:١٢٢).

وللعلم منزلة خاصة وأهمية كبرى في دعوتنا، إذ عليه تقوم وبدونه تفقد هويتها وانتمائها للسلف، ولابد أن يكون هذا الأمر على كل المستويات، للصغار والكبار، للرجال والنساء، وفي سائر قطاعات المجتمع، وكالحسبة والدعوة، قال الله -تعالى-: (وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) (آل عمران:١٠٤).

ولابد في هذا الباب من مراعاة المصالح والمفاسد وفق ما تأمر به الشريعة وعلى ميزانها، وكالواجبات الاجتماعية من سد حاجات الفقراء والمساكين ورعاية اليتامى، وحث الأغنياء على الزكاة والصدقة ومعاونتهم في إخراجها على ما جاء في الكتاب والسنة، وعيادة المرضى ودعوتهم إلى الله، وإحياء الروابط الأخوية بين المسلمين، من اتباع الجنائز والتعزية في المصاب، وإجابة الدعوات، والتهنئة في الأفراح، وغير ذلك، وكالسعي إلى إيجاد نظام المال الإسلامي؛ لإبعاد الناس عن الربا والريبة، وسائر المعاملات المحرمة.

وكذا تربية الأمة على روح الجماعة برد الناس إلى أهل العلم منهم، وجمعهم عليهم، ونهيهم عن التفرقة، وكذا إقامة الجهاد في سبيل الله طالما وجدت مقوماته وشروطه، والسعي إلى أسبابه عند العجز عنه، وكذلك تعليم الناس لزوم التحاكم إلى الشرع برد موارد النزاع إلى أهل العلم الذين يجب وجودهم والسعي إلى إيجادهم في كل مكان؛ لفض الخصومات وفق الكتاب والسنة بعيدًا عن القوانين الوضعية الطاغوتية، وهذه وغيرها من فروض الكفاية، كإقامة الجمع والجماعات والأعياد، يمكن للمسلمين إذا اجتمعوا وتعاونوا على إقامتها كما أمرهم ربهم فقال: (وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى) (المائدة:٢)، أن يقوموا بأضعاف ما يقومون به الآن من غير مفسدة ولا مضرة -بإذن الله-، وما قاموا به من الحق كان سببًا لتمكين الله لهم مما عجزوا عنه، فإن الطاعة سبب للطاعات.

ثالثًا: إقامة دولة الإسلام: وأما نهاية المطاف وكيف تقام دولة الإسلام بعد ذلك فنحن لا نوجب على الله أمرًا معينًا نعتقد حتميته ولزومه وأنه لا سبيل سواه، بل قد قص الله علينا من قصص أنبيائه ورسله من آمن قومه كلهم بدعوته بالحكمة والبيان، قال الله -تعالى-: (وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ . فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ) (الصافات:١٤٧-١٤٨)، ومنهم من نصره الله بإهلاك أعدائه بقارعة من عنده، أو بأيدي الرسل وأتباعهم، وقد جعل الله -سبحانه وتعالى- في سيرة نبينا -صلى الله عليه وسلم- هذه الأمور أيضًا، ففتح الله عليه المدينة

بالقرآن وكذا فتح عليه البحرين واليمن وكثير من جزيرة العرب كما فتح عليه مكة بالسنان، وفتح على أصحابه العراق وما وراءه والشام ومصر وغيرها بالسنان كذلك، وله الحمد -سبحانه- على كل حال، فالتمكين منة من الله، ووعد غايته تحقيق العبودية لله -للفرد وللأمة-، والأخذ بالأسباب المقدورة لنا واجب علينا، والنصر من عند الله لا بالأسباب، قال الله -تعالى-: (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) (النور:٥٥)، وقال -سبحانه-: (وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ . إِنَّ فِي هَذَا لَبَلاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ) (الأنبياء:١٠٥-١٠٦).

ولا يخفى أن واقعنا لا يزال أصغر بكثير مما نأمل، وأن حالنا أبعد عما نعلم أنه يلزمنا أن نكون عليه، ولكن الواجب النصيحة، والأمل أن يكون الجميع على الطريق المستقيم لا خارجًا عنه ولو كان سيره بطيئًا.

٣٧- لماذا يقدم السلفيون التوحيد على غيره في الدعوة إلى الله -عز وجل-؟

التوحيد حق الله على العبيد كما قال -صلى الله عليه وسلم- لمعاذ بن جبل -رضي الله عنه-: (حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا)، ومن وقع في الشرك -والعياذ بالله- حبط عمل كله وخسر الخسران المبين، قال الله -تعالى-: (وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ) (الزمر:٦٥).

فالشرك من دون سائر الذنوب لا يغفر لصاحبه كائنًا من كان، قال الله -تعالى-: (إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ) (النساء:٤٨).

لذا فالدعوة إلى التوحيد هي أول ما يبدأ به، وهذه سنة الأنبياء مع أقوامهم، قال الله -تعالى-: (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ) (النحل:٣٦)، وقال الله -تعالى-: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا أَنَا فَاعْبُدُونِ) (الأنبياء:٢٥).

ولما أرسل الرسول -صلى الله عليه وسلم- عليًا -رضي الله عنه- إلى خيبر أمره أن يدعوهم إلى توحيد الله أولاً.. وكذلك لما بعث معاذاً -رضي الله عنه- إلى اليمن.

ومن ينظر في أحوال المسلمين هذه الأيام يجدهم قد جهلوا الكثير من معاني التوحيد وأحكامه، وصار منهم من يصرفون العبادات لغير الله، ويتبنون معتقدات الفرق الضالة، وينساقون إلى الدعوات الباطلة، مما يوجب توجيه العناية الكبرى لتصحيح المفاهيم، ورد الشبهات، وبيان بطلان كل دعوة مخالفة لدين الإسلام.

٣٨- ما حكم دعاء غير الله -عز وجل-؟

دعاء غير الله شرك محرم، وإن سماه صاحبه توسلاً أو تبركًا أو شفاعة أو من تعظيم الصالحين، قال الله -تعالى-: (وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ . وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ) (الأحقاف:٥-٦).

وقال الله -تعالى-: (وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ . إِنْ تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ) (فاطر:١٣-١٤).

وقال -تعالى-: (وَلا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنْفَعُكَ وَلا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِنَ الظَّالِمِينَ) (يونس:١٠٦).

وقال -تعالى-: (قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ . وَلا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ) (سبأ:٢٢-٢٣).

وقال -صلى الله عليه وسلم-: (مَنْ مَاتَ وَهْوَ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ نِدًّا دَخَلَ النَّارَ) (رواه البخاري).

٣٩- ما حكم بناء المساجد على قبور الصالحين؟ وما هي الأدلة على ما تقول؟

اتخاذ المساجد على قبور الصالحين مما حرمه الشرع، ووردت الأحاديث العديدة بتحريم ذلك والتحذير منه:

عن أبي هريرة -رضي الله عنه- مرفوعًا: (قَاتَلَ اللَّهُ الْيَهُودَ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ) (متفق عليه).

وقال -صلى الله عليه وسلم-: (أَلا وَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وَصَالِحِيهِمْ مَسَاجِدَ أَلا فَلا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ إِنِّي أَنْهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ) (رواه مسلم).

وعن عائشة -رضي الله عنها- قالت: لَمَّا اشْتَكَى النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ذَكَرَتْ بَعْضُ نِسَائِهِ كَنِيسَةً رَأَيْنَهَا بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ يُقَالُ لَهَا: مَارِيَةُ، وَكَانَتْ أُمُّ سَلَمَةَ وَأُمُّ حَبِيبَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- أَتَتَا أَرْضَ الْحَبَشَةِ فَذَكَرَتَا مِنْ حُسْنِهَا وَتَصَاوِيرَ فِيهَا فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: (أُولَئِكِ إِذَا مَاتَ مِنْهُمْ الرَّجُلُ الصَّالِحُ بَنَوْا عَلَى قَبْرِهِ مَسْجِدًا ثُمَّ صَوَّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصُّورَةَ أُولَئِكِ شِرَارُ الْخَلْقِ عِنْدَ اللَّهِ) (متفق عليه).

وقال -صلى الله عليه وسلم- في مرضه الذي توفي فيه: (لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ) (متفق عليه).

وكون هذا التحذير واللعن في مرضه -صلى الله عليه وسلم- الأخير دل على كونه حكمًا غير منسوخ.

وعن ابن مسعود -رضي الله عنه- مرفوعًا: (إِنَّ مِنْ شِرَارِ النَّاسِ مَنْ تُدْرِكُهُ السَّاعَةُ وَهُمْ أَحْيَاءٌ، وَمَنْ يَتَّخِذُ الْقُبُورَ مَسَاجِدَ) (رواه أحمد، وصححه الألباني بجموع طرقه).

وهذه الأحاديث كافية في تحريم اتخاذ المساجد على قبور الصالحين وغيرهم، بل وكونه من كبائر الذنوب لاستحقاق اللعنة باقتراف ذلك، ووصف الفاعل بكونه من شرار الخلق يوم القيامة.

٤٠- ما حكم من لا ينتسب إلى الدعوة السلفية وينتمي إلى غيرها؟ وهل الجماعات الأخرى غير السلفية فرق ضالة تستحق دخول النار؟

الدعوة السلفية بمعنى المنهج والطريق في فهم الإسلام والعمل به على طريقة الصحابة والسلف -كما سبق بيانه- هي الإسلام الحق فيلزم أن ينتمي إليها كل مكلف وإلا تعرض للوعيد لمخالفته الشرع كتابًا وسنة، ومخالفته سبيل المؤمنين.

وأما الدعوة السلفية بمعنى الدعاة والعمل الدعوي المعين فلا يلزم أن من لم ينتمي إليها أن يكون خارجًا عن منهج أهل السنة، وكذلك الانتماء لغيرها من الدعوات.

والدعوات المعاصرة المنتشرة في الساحة الإسلامية إنما هي متفاوتة فيما بينها قربًا وبعدًا عن مثل ما كان عليه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وصحابته الكرام، فما كانت على ما عليه أهل السنة والجماعة وأهل الحديث وعقيدة السلف فهي تنسب إلى أهل السنة والجماعة، ومن بعد عما عليه أهل السنة فيكون بعده بمقدار مخالفته لأهل السنة والجماعة، فإن بلغ به الأمر مخالفة أهل السنة والجماعة في أمور كلية من كليات الدين، أو في قاعدة من قواعد الشريعة دخل في أهل الفرق الضالة.

يقول الشاطبي في الاعتصام مبينًا ضابط الحكم على تجمع معين أنه من الفرق الضالة، وذلك أن هذه الفرق إنما تعد فِرقا لخلافها للفرقة الناجية في معنى كلي في الدين، وقاعدة من قواعد الشريعة، لا في جزئي من

الجزئيات، إذ الجزئي والفرعي الشاذ لا ينشأ عنه مخالفة يقع بسببها التفرق شيعًا، وإنما ينشأ التفرق عند وقع المخالفة في الأمور الكلية".

ويقول الشاطبي أيضًا: "ويجري مجرى القاعدة الكلية كثرة الجزئيات، فإن المبتدع إذا أكثر من إنشاء الفروع المخترعة عاد ذلك على كثير من الشريعة بالمعارضة" الاعتصام للشاطبي ج٢/٢٠٠.

٤١- ما المراد بالشمولية في الدعوة إلى الله -تعالى-؟

المراد بالشمولية في عرض الإسلام والدعوة إليه والعمل به الإتيان به في صورة شاملة تستوعب جميع جوانبه، مع حفظ أجزائه مترابطة، وبنسبها، ومواقعها إلى بعضها البعض، فلا يهمل جانب على حساب جانب، ولا يقدم مهمًا على أهم، مع مراعاة السلامة من الشوائب والدخائل والتشويه.

وهذه الشمولية كان عليها سلفنا الصالح، وأمر الله -تعالى- بها في كتابه في آيات عديدة، فمن ذلك: قوله -تعالى-: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً) (البقرة:٢٠٨).

قال ابن عباس -رضي الله عنهما- وغيره: (ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ) يعني الإسلام (كَافَّةً) يعني جميعًا.

قال مجاهد: "أي اعملوا بجميع الأعمال ووجوه البر".

فهذا أمر من الله -تعالى- لأهل الإيمان بالعمل بالإسلام كله.

قال ابن كثير -رحمه الله-: "يقول -تعالى- آمرًا عباده المؤمنين به -المصدقين برسوله- أن يأخذوا بجميع عرى الإسلام وشرائعه، والعمل بجميع أوامره، وترك جميع زواجره ما استطاعوا من ذلك".

قال الآلوسي -رحمه الله-: "والمعنى: ادخلوا في الإسلام بكليتكم، ولا تدعوا شيئًا من ظاهركم وباطنكم إلا والإسلام يستوعبه بحيث لا يبقى مكان لغيره".

وقال الآلوسي أيضًا: "وقيل: الخطاب للمسلمين الخلص، والمراد من (السِّلْمِ): شعب الإسلام، و(كَافَّةً) حال منه، والمعنى: (ادْخُلُوا) أيها المسلمون والمؤمنون بمحمد -صلى الله عليه وسلم- في شعب الإيمان كلها، ولا تخلوا بشيء من أحكامه" اهـ.

والشمولية ليست كلمة تقال، ولا ادعاء يزعم، ولكنها لابد أن تكون حقيقة واقعة تظهر عند التطبيق والأداء، فكم من جماعة في ساحة الدعوة تدعي الشمولية، وأعمالها تخالف هذا الادعاء وتنافي شمولية الإسلام دعوة وعلمًا وعملاً.

٤٢- يزعم الكثيرون الأخذ بالشمولية في الدعوة إلى الله -تعالى-، وهم في واقعهم على خلاف ذلك، فما هي مظاهر منافاة الشمولية في الدعوة؟

من مظاهر منافاة الشمولية في الدعوة:

١- تقسيم الدين إلى لباب وقشور: وهو تقسيم محدث مبتدع، لا يعرف عن السلف الصالح، وبمقتضاه يعمد البعض إلى الاعتناء بجوانب من الدين يراها هي اللباب، ويهمل أمورًا أخرى بزعم أنها قشور، وإن بحثت عن المعيار الذي يفرق بين هذا اللباب وهذه القشور وجدته ضربًا من الأهواء والميول، فربما سميت سنن الرسول -صلى الله عليه وسلم- قشورًا، وربما جعل واجبًا من الواجبات لبًا وآخر من القشور، بل ربما أجلت قضايا التوحيد أو أهملت -على أهميتها وخطورتها- بدعوى تأليف القلوب أو منع التنافر والاختلاف، ولئلا تصدم مشاعر عوام المسلمين.. فتصير بعض قضايا التوحيد قشورًا، وجمع الناس على ما هم عليه من المخالفات الشرعية العقائدية أهم وأولى.

وربما يكون التغاضي عن كثير من البدع في الدين، وجعلها قشورًا لا ينبغي الخوض فيها.. ! ومن هذا القبيل تقسيم الدين إلى أصول وفروع -"هذا التقسيم إن بني عليه حكم كان بدعة، وإن كان لغرض البيان فلا مشاحة في الاصطلاح"- فيتسامح في الفروع، بدعوى الاكتفاء بالاتفاق على الأصول!

ومن ذلك تتبع الرخص والأخذ بزلات العلماء وأقوالهم المرجوحة.

وقد استشرى ذلك عند البعض حتى صار أشبه بالتلاعب بالشريعة.. ولا أدل على ذلك من تساهلهم في مسائل العقيدة والبدع الاعتقادية المنحرفة، مما يؤثر على استجابة الناس للدعوة الإسلامية أسوأ تأثير، ويشوه الدعوة الصحيحة إلى الإسلام الكامل النقي.

٢- التغاضي عن بدع كثيرة منتشرة في البلاد: فترك محاربة العديد من الخرافات والخزعبلات والشركيات والمنكرات المنتشرة بين عوام المسلمين في هذه الأزمان، ينافي تمامًا دعوى الشمولية في الدعوة إلى الإسلام.

وهذا ظاهر في كثير من الدعوات على الساحة تارة: باسم "مصلحة الدعوة"، وتارة: بادعاء "تأليف القلوب أولاً"، وأحيانًا بزعم "السعي لوحدة الأمة"، ومن مظاهر ذلك عند البعض:

التفريق بين البدعة الحقيقية والبدعة الإضافية، فينكر على صاحب البدعة الحقيقية ولا ينكر على صاحب البدعة الإضافية، والشرع لا يفرق بين هذه وتلك في وجوب الإنكار على صاحبها المبتدع.

فمن أمثلة البدع الإضافية التي يتساهلون في الإنكار على فاعليها، بل وربما مشاركتهم فيها: الاحتفال بالسابع والعشرين من رجب، والاحتفال بالمولد النبوي -"الاحتفال بالمولد النبوي يعد بدعة حقيقية"-، وتخصيص ما بين الأذان والإقامة في صلاتي الفجر والعصر بقراءة القرآن جهرًا، والذكر الجماعي جهرًا وتخصيص وقت ما قبل صلاة الجمعة بقراءة القرآن جهرًا... إلخ.

٣- عدم إعطاء التوحيد حقه في الدعوة، وإهمال تقديم قضايا التوحيد على غيرها، وعدم تعليم التوحيد للمسلمين لإزالة صور الشرك الأكبر المنتشرة بين عوام المسلمين، والواجب بناء أفراد المجتمع المسلم على التوحيد علمًا وعملاً، فهمًا وسلوكًا، فالتوحيد قوام الإسلام وأساسه.

٤٣- ما الفرق بين البدعة الحقيقية والبدعة الإضافية؟ مع التمثيل.

البدعة الحقيقية: ما كان الابتداع فيها من جميع وجوهها، فهي بدعة محضة، ليست فيها جهة تندمج بها في الشرع؛ ولذا سميت بدعة حقيقية؛ لكونها خارجة عن السنة من كل وجه، وإن كان لفاعلها المبتدع شبهات يزعمها أدلة شرعية.

مثال لذلك: الطواف بالقبور، والوقوف بغير عرفة، ووضع الشموع والهياكل حول الأضرحة.

أما البدعة الإضافية: فهي ما لها تعلق من الأدلة فلا تكون مخالفة للشرع من هذه الجهة، ولها كذلك جهة ليس لها متعلق من الشرع فهي به بدعة.

فهي موافقة للشرع من جهة، ومفارقة له من جهة أخرى، وأشهر سمات هذه البدع أن تكون لها دليلاً من جهة أصل العبادة، أما جهة الكيفية وتفاصيلها على ما يؤديها به المبتدع، فلم يقم عليها دليل، والعبادات توقيفية تحتاج إلى الدليل في أصل مشروعيتها، وكذلك في أحوالها وكيفية أدائها.

فصلوات التطوع مندوبة، ولكن تخصيص أوقات وكيفية معينة لصلوات لم يثبت في الشرع هذا التخصيص لها تعد بدعة: كصلاة الرغائب، وصلاة ليلة النصف من شعبان، وصلاة مؤنس القبر.

فصاحب البدعة الإضافية يتقرب إلى الله -تعالى- بمشروع، وبغير مشروع، والتقرب إنما يكون بمحض المشروع، إذ لا يتقرب إلى الله -تعالى- إلا بما شرع، وفي الحديث قوله -صلى الله عليه وسلم-: (مَنْ عَمِلَ عَمَلا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ) (رواه مسلم).

٤٤- لماذا يحرص السلفيون على نشر السنن والمندوبات وبيان أحكامها وإحياء العمل بها إلى جانب تعليم واجبات الدين وفرائضه وتعليم قضايا التوحيد والعقيدة؟

السلفيون لا يتبرمون من إيضاح سنة مهملة أو بيان واجب متروك، فالسنن مع الواجبات تكن الصورة الكاملة للإسلام، والتزام المجتمع المسلم بها جميعًا في واقعه العملي يحفظ هذا الدين كاملاً، وينقله إلى الأجيال التالية غير منقوص.

وأصحاب المناهج الأخرى يهتمون بقضايا بعينها من الدين ويهملون سائره، بل ويضيقون ببيانه لهم، وحثهم عليه، وما هذا إلا لجهلهم بحقيقة الدين، وذلك أن ترك نصيب وحظ وقسم مما أمر الله به يورث العداوة والبغضاء، كما قال الله -تعالى-: (وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ) (المائدة:١٤).

وهكذا عاب الله على اليهود إيمانهم ببعض آيات الكتاب وكفرهم ببعض، وما كان كفرهم إلا تركهم العمل به، وهكذا يحل بالمسلمين إن هم نسوا بعض ما وعظهم الله به وذكرهم، وبعض ما أوجبه عليهم رسوله -صلى الله عليه وسلم-، ولذلك فالدعوة السلفية دعوة شمولية لأركان الإسلام ومناهجه جميعًا: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ) (البقرة:٢٠٨)، فالعمل بجزء من الشريعة وترك جزء آخر من اتباع خطوات الشيطان، الذي يبرر لبعض العاملين في الحقل الإسلامي ترك الواجبات، وفعل كثير من المحرمات بدواعي المصلحة المزعومة للدعوة.

والخلاصة: أن إقامة الحجة تكون بالبيان الدائم لأصول الإسلام وفروعه، هذا الباب الذي لا يترك في الحق لبسًا حتى ينقطع العذر، ولا يكون لأحد العدول عن فعل الواجب وترك الحرام.

٤٥- ما أسباب الخلافات بين المسلمين؟ وما السبيل إلى علاجها للقضاء عليها؟

الخلافات بين المسلمين اليوم ترجع إلى ثلاثة أنواع:

١- فمنها ما يرجع إلى اختلاف التنوع، وهذا يجب استثماره والتعاون عليه، ولا يصح أن نسعى لإلغاء هذا الاختلاف؛ لأنه بالتكامل فيه يتم الواجب ويتحقق المقصود.

٢- ومنها ما يرجع إلى اختلاف التضاد السائغ، وهذا يجب احتماله، وأن يسعنا كما وسع سلفنا الصالح ولا يفسد الود والمحبة بيننا، ولكن يلزم ضبطه جيدًا، والرجوع إلى أهل العلم عند الاختلاف.

٣- ومنها ما يرجع إلى اختلاف التضاد غير السائغ، وهذا يجب علاجه بمحاربة ما خالف الكتاب والسنة من البدع والضلالات والأقوال الباطلة، والاجتماع على منهج أهل السنة والجماعة، والعمل على نشره بتفاصيله، وهذا يقتضي تحقيق هذا المنهج، وتحديده تحديدًا مفصلاً في قضايا العقيدة والعبادات والمعاملات والأخلاق والدعوة ومناهج التغيير.. الخ.

مع الالتزام في ذلك بطريقة السلف الصالح ومنهجهم، وهذه هي الوسيلة المثلي لتقارب الصفوف واجتماع الكلمة، وهذا كله يحتاج إلى جهد كبير، مع التجرد والإخلاص والعمل المستمر.

وقد دلت الأحاديث المرفوعة والآثار عن الصحابة -رضي الله عنهم- والتابعين لهم بإحسان، على أن السبل التي نهى الله عن اتباعها هي البدع والشبهات، والشهوات المحرمة والمذاهب والنحل المنحرفة عن الحق وسائر الأديان الباطلة، عن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- خط خطًا بيده ثم قال: (هذه السبل ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه)، ثم قرأ: (وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) (الأنعام:١٥٣). (رواه أحمد، وصححه الألباني).

فالاعتصام بالكتاب والسنة هو سبيل النجاة، والعاصم من الخلاف والفرقة، وهو أيضًا سفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلف عنها هلك: (فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلا الضَّلالُ) (يونس:٣٢).

والحق واحد، وهو أبلج وعليه نور، والباطل كثير متشعب، فهو لجلج عليه ظلمة، فاعرف الحق تعرف أهله، واعرف الباطل تعرف من أتاه، وخذ الحق من كل من أتاك به، ورد الباطل على صاحبه كائنًا من كان، واسلك طريق الهدى ولا يضرك قلة السالكين، وإياك وطرق الضلالة ولا تغتر بكثرة الهالكين.

٤٦- السلفيون متهمون بالرجعية والعمل على العودة بالأمة إلى الوراء، والتشدد في الدين، ورفض التقدم المادي والحضارة الأوروبية والمدنية الحديثة، فما قولكم؟

هذه كلها مزاعم خاطئة لا أساس لها من الصحة، فإن السلفية لا تتعارض مع التقدم، وإن شئت قلت: إن السلفية -وهي المعبرة عن الإسلام في نقائه- لها نظرتها إلى التقدم والحضارة.

إن أعداء السلفية عندما أرادوا أن يقاوموا ويشوهوا هذه الدعوة استغلوا أن أصحابها بالمقارنة بجمهور المسلمين قلة، وأن عوام الأمة قد انغمسوا في البدع والمنكرات التي ينكرها السلفيون غاية الإنكار، فعمدوا إلى بث هذه المفاهيم المغرضة عن السلفية، فهي دعوة متشددة ترهق الناس بما لا طاقة لهم به، وهي رجعية متأخرة ترفض التقدم الحديث.. الخ.

وألفاظ التشدد والرجعية والتخلف سهلة على لسان العوام وغير العوام، ويمكن بها التنفير عن التيار السلفي خاصة، بل وعن السعي إلى العودة للعمل بالإسلام عامة، ولذلك يستخدم الكتاب والصحفيون من العالمانيين واليساريين هذه المسميات المغرضة نفسها في التشويه، والتشنيع على جماعات التيار الإسلامي ككل.

وينبغي أن تراعي أن للإسلام تفسيره لمعنى "التقدم" الذي يخالف المعنى الشائع بين الناس الآن، فالإسلام يعامل الإنسان ككيان متكامل، له جانبه المادي وجانبه الروحي والحضارة الغربية تقدمت في الجانب المادي والعلوم التجريبية، ولكنها تدنت وانحطت في الجانب الروحي.

فالتقدم في الإسلام تقدم أخلاقي مع الأخذ بأسباب العمران المادي في نواحي الحياة كلها، ولو نظرنا إلى أحداث التاريخ قديمًا وحديثًا لرأينا الصور الكثيرة للمعاناة الشديدة التي عانتها شعوبنا تحت قهر الاستعمار الغربي الأوروبي لبلادنا.

فدائمًا هناك فارق في التعامل بين دول الغرب المتحضر بعضها مع بعض، وبين تعاملها مع الشعوب المقهورة.. والسبب افتقاد هذه الحضارة للمبادئ الأخلاقية والقيم الروحية.

إن الارتباط بالعقيدة الإسلامية الصحيحة يعني نبذ النموذج الحضاري الحالي للحضارة الغربية، ولا يعني ذلك نبذ التقدم العلمي للغرب، فإن هناك فارقا بين الأخذ بالنتائج العلمية للحضارة الغربية، وبين الأخذ بمقومات الحضارة الغربية وتصوراتها العقائدية ونظرياتها الفلسفية في الحياة.

فإنه لا وطن للعلم.. ولا جنسية للأبحاث والاكتشافات، وإنما هي نتاج جهود البشرية على اختلاف جنسياتها وأوطانها، ونحن المسلمين قد ساهمنا في التقدم العلمي للبشرية كلها في أيام سابقة بجهود عظيمة لا تنكر.

إن مشكلتنا مع الحضارة الغربية تكمن في اختلافنا الأساسي معهم على قواعد جوهرية، تتناول عقيدة التوحيد، والإيمان بالله -سبحانه وتعالى- وإفراده بالألوهية والربوبية، وماهية الإنسان والغرض من خلقه، وبيان مآله في اليوم الآخر، وما هي وسائله لسلوك أحسن السبل الممكنة في الحياة والارتقاء بها.

فالأمة الإسلامية يجب أن تكون مميزة بخصائص تميزها عن غيرها من الأمم، وتجعل من التزامها بعقائدها وشريعتها أمة متقدمة في المقام الأول بالعقائد والقيم والسلوك قبل المنتجات المادية.

٤٧- إذن فكيف يكون التجديد والاجتهاد في الدين من وجهة نظر السلفيين؟

التجديد في المفهوم السلفي: هو تطهير الدين مما ألحق به من شوائب في أفهام الناس وسلوكهم حتى تعود له في حياتهم نصاعته الأولى.

أما الاجتهاد فإنه العملية التي تتم بها تغطية حياتهم المتجددة بالأحكام المستمدة من الشريعة، فهو حركة حية للربط بين الواقع البشري في كل زمن، وتعاليم الشريعة الموحاة في القرآن والسنة.

وإذا كان مضمون السلفية رد الحياة البشرية في كل تطوراتها إلى الكتاب والسنة -كما سلف-، فإن التجديد والاجتهاد مقومها الحركي لتحقيق ذلك.

فالسلفية وهي تدعو للعودة إلى الأصول الأولى، لا تهدف إلى أن تكون نسخًا كربونية للسلف، بل أن نتمثل منهجهم وروحهم في فهمهم وسلوكهم، وتعاملهم مع الدين والحياة، ومع هذا فإن السلفية معايشة للعصر مواكبة للتطور، متحررة من أسر الجمود والتقليد.

أن أتباع الاتجاه السلفي لا يؤمنون بشد العربة إلى الوراء، ولا الالتزام الحرفي بكل جوانب الماضي، بل يؤكدون على عوامل التقدم الحضارية، لكنهم يضعون إطارًا عامًا للتطور يحكمه الوحي الإلهي الذي ينبغي أن يشكل روح الحاضر ودستوره العام، كما كان في عصور الإسلام الذهبية.

فزعم خصوم الدعوة السلفية خاصة -وخصوم الإسلام عامة- أنها دعوة رجعية تعمل على العودة إلى الوراء، وترفض التقدم الحضاري والمدنية الحديثة، زعم خاطئ، فإن السلفية لا تتعارض مع التقدم.

إن السلفية ليست محصورة في فترة تاريخية معينة، وإنما هي ممتدة من الأزمان الماضية إلى العصر الحاضر، وعن طريق السلفية نصل إلى الفهم الصحيح للعقيدة الإسلامية كما فهمها أسلافنا.

والاقتداء بأسلافنا "يتطلب الارتفاع إلى مستواه، لا الرجوع إلى الزمن الذي عاصروه بوسائله وأدواته، فالاتباع إذن في القيم التي حققوها، وعاشوا من أجلها، لا في وسائل المعيشة التي استخدموها" من قواعد المنهج السلفي للدكتور مصطفى حلمي.

فليست السلفية زرعًا للماضي في أرض الحاضر، ولكن السلفية هي العمل بقيم الإسلام الصحيحة لإصلاح الدين والدنيا.

فاعتقاد أن السلفية "مرحلة زمانية مباركة" وقفت عند نهاية القرون الثلاثة الأولى، وانتهت إليها، وحطت رحلها أمامها، وانقطع بها، دعوة باطلة منكورة، لا دليل عليها ولا ينبغي التمسك بها، ونحن على يقين أن السلفية زمانها الزمان كله، ومكانها الأرض كلها.

٤٨- من سمات الدعوة السلفية تيسير التمسك بالإسلام تعلمًا وعملاً. وضح ذلك؟

من سمات الدعوة السلفية أنها تيسر فهم الإسلام للناس، وتفتح لهم الأبواب لدراسة وفهم الكتاب والسنة دون تعقيد أو تضييق، فتعلم العلم حق مشاع للجميع، منه ما هو عليهم واجب، والارتباط بالقرآن تلاوة وتدبرًا أمر به الشرع كل مسلم، والنبي -صلى الله عليه وسلم- حثنا على تعلم سنته وحفظها والتفقه فيها.

إن الإسلام دين ميسر لكل أحد، فهمًا وعلمًا تطبيقًا وعملاً، قال -تعالى-: (وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ) (القمر:١٧).

وفي الحديث المرفوع: (إِنَّ هَذَا الدِّينَ يُسْرٌ) (رواه البخاري والنسائي)، وهذا اليسر في كل وجه من وجوهه؛ لذا ففهم الدين والعمل به ليس حكرًا على طائفة معينة تلبس لباسًا خاصة وتتكلم بأسلوب خاص، وعلى الناس تقليدهم والسير خلفهم بلا بصيرة، وإذا كان تيسير هذا الدين مطلوبًا في الأزمان الماضية، فهو أشد ضرورة هذه الأيام، خاصة وأن العلوم الدنيوية صارت تستغرق من حياة الإنسان سنينًا طويلة ليتقنها ويحيط بجوانبها.

أما في ظل الدعوة السلفية فإننا نجد الشاب سرعان ما يحصل الكثير من العلم الشرعي، وفي مدة يسيرة مع امتلاك الرؤية الواضحة لمجمل هذا الدين عقيدة وشريعة وسلوكًا، لا يشغله ذلك عن مهنته وعمله وصنعته إن كان طالبًا أو تاجرًا أو طبيبًا أو مهندسًا، ففهم التوحيد وأحكام العبادات، والحلال والحرام في المعاملات، وما يجب أن يتحلى به المسلم من الأخلاقيات، كل ذلك يتعلمه السلفي في إطار من أدلة الكتاب والسنة بعيدًا عن الحواشي والأحاجي والألغاز كما هي طريقة المقلدين والمتعصبين للمذاهب.

والسلفي يمتاز عن غيره من طلاب العلم الشرعي بكونه يملك فكرًا غير مقلد، يحترم العلماء، ولكن لا يتعصب لأقوالهم، يأخذ الحق أنى وجده، طالما أن الدليل يؤيده، ويتجنب الخطأ إن تبين له دليل عنده صوابه، مع تعمق في دراسة الكتاب والسنة والإحاطة بالأحكام الشرعية.

٤٩- ما هي نظرة السلفيين لقضايا الأصالة والمعاصرة؟ وهل هناك منافاة بين هذين الاتجاهين؟

المحافظة على جوهر الدعوة وأصلها والتمسك بمبادئها الأساسية، هو محافظة على أصالة الدعوة.

وموافقة الدعوة للعصر الذي تعيش فيه تعالج واقعه وتلبي متطلباته، هي منها معاصرة للعصر الذي تعيش فيه.

ولا منافاة بين الأخذ بالاتجاهين في وقت واحد.

فالمحافظة على أصالة الدعوة لا يعني التحجر على كل ما هو قديم، والتمسك بجوهر الدعوة ومبادئها وصف صالح لكل زمان ومكان.

والمعاصر للزمن الذي نعيش فيه بوسائله وأدواته لا تعني تميع المواقف، أو ذوبان الشخصية المسلمة أو الخروج عن الإسلام النقي الصافي الواضح، ولكن تعني الأخذ بوسائل العصر وأدواته في عرض الدعوة في جوهرها الصحيح السليم.

وهذا الوصف بالمعاصرة على هذا صالح أيضًا لكل زمان ومكان، وليس هو وصفًا خاصًا لهذا العصر فقط، بل قابل لكل عصر ومصر.

والخلاصة أن "اختيار الأسلوب الدعوي المناسب لموقف من المواقف معاصرة، واستخدام الوسائل المتوفرة في عصر من العصور لنشر الدعوة معاصرة، وسيرته -صلى الله عليه وسلم- في تمسكه بأصالة دعوته لا

يحيد عنها، ولا يقبل مساومة فيها، وفي ذات الوقت معالجته واقع عصره، وتخيره الأساليب النافعة لدعوته، واستخدام جميع أنواع الوسائل المشروعة المتوفرة في عصره، غير زاهد بشيء منها أمر لا يخفى على من اطلع على سنته -صلى الله عليه وسلم-، وقد سار الصحابة والخلفاء الراشدون -صلى الله عليه وسلم- على نهجه".

٥٠- هل هناك ضوابط ينبغي مراعاتها في الجمع بين الأصالة والمعاصرة وتحقيق سلفية المنهج وسلفية المواجهة؟

نعم.. التمسك بأصالة الدعوة مع موافقة وسائل العصر، وفق منهج السلف الصالح في تبليغ الدعوة ومواجهة الواقع الذي نعيشه، له ضوابط ينبغي مراعاتها، من أهمها:

١- المحافظة على الأصول الشرعية محافظة تامة، والتمسك بالسنة النبوية، وسنة الخلفاء الراشدين، والعض عليها بالنواجذ، فلا نحيد عنها بحال من الأحوال.

ففي الحديث المرفوع: (فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ) (رواه أحمد وأبو داود والترمذي، وصححه الألباني).

٢- اجتناب البدع تجنبًا تامًا والحذر منها كل الحذر في الاعتقاد والعبادات والأقوال والأعمال: ففي الحديث المرفوع المتفق عليه: (مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ) (متفق عليه)، وفي الحديث المرفوع أيضًا: (وَشَرُّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ) (رواه مسلم).

٣- التمييز بين الثوابت التي لا ينبغي أن تتغير أو تتحول، وبين المتغيرات القابلة للتطور والتغيير. فالمنهج والعقيدة الأصل فيها الثبوت والاستمرارية، والأسلوب والوسيلة عرضة للتطور والتحول وفق ما يناسب وسائل العصر وأدواته.

٤- مراعاة موافقة الشرع في المناهج والأساليب والوسائل، وتجنب مبدأ: "الغاية تبرر الوسيلة"، فعلى المسلم أن يتجنب ما يحرم من الوسائل المخالفة للشرع وإن ظن أن فعلها يأتي بخير، كما أن عليه أداء الواجبات الشرعية وإن ظن في تركها دفع شر، فإن الشر لا يأتي إلا بالشر.

٥- الاعتدال في الأمور، بتجنب الغلو والتشدد، والبعد عن التقصير والتساهل، ففي الحديث المرفوع: (هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ) قالَهَا ثلاثًا. (رواه مسلم). والتنطع: التشدد في غير موضع التشدد.

وفي الحديث المرفوع: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ الْغُلُوُّ فِي الدِّينِ) (رواه أحمد والنسائي وابن ماجه، وصححه الألباني).

وفي الحديث المرفوع: (الدِّينَ يُسْرٌ وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلا غَلَبَهُ فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا) (رواه البخاري والنسائي).

وليس المراد من الحديث ترك طلب الكمال في أداء العبادات والتمسك بأحكام الدين، ولكن المراد منع الإفراط والتشدد المؤدي إلى الملل، ومنع المبالغة المفضية إلى ترك الأفضل.

٦- الرجوع في المسائل والحوادث المستجدة إلى أهل العلم والاختصاص الموثوق فيهم لمعرفة أحكامها عن طريقهم، مع مراعاة أن العبادات توقيفية، والأصل في المعاملات الإباحة طالما أنها لم تصطدم بنصوص الشريعة، ووافقت ضوابطها الكلية.

٥١- اذكر أمثلة لبعض الأخطاء التي تقع من شباب الصحوة الإسلامية باسم المحافظة على الأصالة تارة، وباسم الأخذ بالمعاصرة تارة أخرى؟

الكل مطالب أن ينتبه للأخطاء التي تحدث باسم الأصالة والمعاصرة، فكم من شباب الدعوة اليوم لا يتميز في سلوكه عن سلوك عامة الناس؛ فيقع في المحرمات والمخالفات في طريق الدعوة، متوهمًا أنه يحقق بذلك نوعًا من المعاصرة اللازمة، كحالة من يصافح النساء أو يحلق لحيته، أو يتساهل في حجاب زوجته أو بنته، أو يألف أنغام الموسيقى المحرمة.

وفي الوقت ذاته كم من شباب الدعوة من يصاب بنوع من التحجر والجمود، فيتشدد في أمور ينفر الناس من حوله متوهمًا أنه يحقق نوعًا من الأصالة المطلوبة، وهو يقع في الإفراط، ومن هذه الصور أن يُحجر على المرأة في بيتها، وتُمنع من الخروج والزيارات المباحة مع تأدبها بالآداب الشرعية، ومع وجود الحاجة لذلك، أو يمنع من لباس دون لباس، مع انطباق المواصفات الشرعية على هذا، وليس هو شعارًا لغير المسلمين، ولا سيما إذا دعت الحاجة إلى استعماله، من مصلحة زمنية أو حاجة عملية.

٥٢- ما هو وجه مخالفة السلفية للاتجاهات الأخرى المعاصرة؟ وعلاقة هذا الوجه بالإسلام؟

السلفية اتجاه يقدم النصوص الشرعية على البدائل الأخرى منهجًا وموضوعًا، ويلتزم بهدي الرسول -صلى الله عليه وسلم-، وهدي أصحابه علمًا وعملاً، ويطرح المناهج المخالفة لهذا الهدي في العقيدة والعبادة والتشريع.

لذا فالسلفية أصدق ممثل للإسلام بين الاتجاهات المنتسبة للإسلام، والسلفي حامل للمفاهيم والأخلاقيات والسلوكيات التي كان عليها السلف الصالح من الصحابة -رضي الله عنهم-، ومن سار على طريقتهم من التابعين وتابعي التابعين، وأئمة الأمة المشهود لهم بالعلم والصلاح.

فالسلفية علامة التزام نهج الصحابة وتابعيهم في فهم الإسلام دون الفهوم المحدثة، فكل من التزم هذا المنهج فهو سلفي مهما تقدمت العصور.

٥٣- ما حكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض كفاية على الأمة، إذا قام به البعض حتى وجد المعروف وزال المنكر سقط عن الباقين؛ وإلا أثم كل قادر بحسب قدرته من القيام بنفسه أو المعاونة على القيام به أو القادرين بذلك، وهذا قول جمهور العلماء.

ولذلك قد يتعين فرض الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في أحوال: كالقادر الذي لم يقم به غيره لعجز أو تقصير، أو لا يعلم بالمنكر غيره كالزوج مع زوجته والأب مع أولاده ونحوه.

ويلاحظ أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في ظروفنا الحاضرة متعين بالقلب للجميع، وباللسان في كثير من الأحوال، وباليد أحيانًا بالشروط الشرعية لعموم المنكرات وعدم من يأمر وينهى.

فكل مسلم بلغ سن التكليف عالمًا بما يأمر به وينهى عنه، يغلب على ظنه السلامة من الأذى والمكروه لنفسه ولغيره من المسلمين ولا يترتب على إنكاره للمنكر مفسدة أكبر من مفسدة المنكر القائم؛ لزمه الإنكار على فاعل المنكر.

٥٤- هل يشترط للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الحصول المسبق على إذن الإمام أو نائبه؟

لا يشترط إذن الإمام أو نائبه للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهو مذهب جماهير العلماء، وهو الصحيح؛ لوجوه:

أولها: عموم الأدلة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لكل مسلم، ولا يوجد مخصص لهذا العموم.

ثانيها: الإجماع المنقول على ذلك، قال إمام الحرمين الجويني -رحمه الله تعالى-: "والدليل عليه إجماع المسلمين فإن غير الولاة في الصدر الأول والعصر الذي يليه كانوا يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر مع تقرير المسلمين إياهم وترك توبيخهم على التشاغل بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من غير ولاية".

فكل مسلم تتوفر فيه شروط الاحتساب، وعنده القدرة على الاحتساب، له أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر بضوابط ذلك الشرعية، وإنما يشترط استئذان الإمام في إزالة المنكر باليد إذا كان يؤدي إلى فتنة أو قتال، فيلزم إذنه لمنع هذه الفتنة وهذا الاقتتال، فيكون الإذن لذلك لرفع الضرر المحتمل لا لكون الإذن شرطًا في الاحتساب.

٥٥- هل لغير العالم المجتهد أن يأمر بالمعروف وينهى المنكر؟

الواجبات الظاهرة والمحرمات المشهورة يجوز لغير العالم أن يأمر وينهى فيها، كترك الصلاة المفروضة والفطر في رمضان لغير عذر، وشرب الخمر والوقوع في الزنا.. الخ.

أما المسائل الخلافية ودقائق الأفعال والأقوال فغير العلماء المجتهدين إنكارهم فيها فيه تفصيل: فطالب العلم: الذي يستطيع التمييز بين أقوال العلماء وله قدرة على النظر في الأدلة وطرق الاستدلال -وإن لم يبلغ مرتبة العلماء المجتهدين- فله الترجيح بين أقوال العلماء واتباع ما ظهر له فيها الدليل الشرعي، فإذا جمع أدلة المسألة وعلم طرق الاستدلال والترجيح فهو بها عالم، وما لم يجمع أدلته أو عجز عن الترجيح بين الأقوال فيها فهو ملحق فيه بالعوام.

أما العوام: فعليهم سؤال العلماء المؤهلين للفتيا والأخذ بفتاويهم، واتباع كل عامي أوثقهم في نفسه وأصدقهم، والعامي من هؤلاء بعد ذلك ليس له أن ينكر إلا إذا أفتاه العالم بأن هذه المسألة متفق عليها، أو المخالف فيها لا يسوغ خلافه وينكر عليه، فإن لم يفته العالم بذلك، بل قال له فقط: هذا الشيء منكر، وهو لا يدري هل هو متفق عليه أو مختلف فيه ونحو ذلك لم يجز له الإنكار، ولكن ينصح وينقل ما سمعه من العالم.

٥٦- كثر في زماننا الكلام عن التكفير، فهل يجوز أن يكفر مسلم مسلمًا أو يصفه بذلك؟

عن عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: (**أَيُّمَا رَجُلٍ قَالَ لأَخِيهِ: يَا كَافِرُ فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا**) (متفق عليه).

وعنه أيضًا: قال -صلى الله عليه وسلم-: (**إِذَا قَالَ الرَّجُلُ لِصَاحِبِهِ: يَا كَافِرُ، فَإِنَّهَا تَجِبُ عَلَى أَحَدِهِمَا، فَإِنْ كَانَ الَّذِي قِيلَ لَهُ كَافِرٌ فَهُوَ كَافِرٌ، وَإِلا رَجَعَ إِلَيْهِ مَا قَالَ**) (رواه أحمد في مسنده، وصحح إسناده الشيخ أحمد شاكر في تحقيقه للمسند).

وعن أبي ذر -رضي الله عنه- أنه سمع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: (**لا يَرْمِي رَجُلٌ رَجُلا بِالْفُسُوقِ وَلا يَرْمِيهِ بِالْكُفْرِ إِلا ارْتَدَّتْ عَلَيْهِ إِنْ لَمْ يَكُنْ صَاحِبُهُ كَذَلِكَ**) (رواه البخاري).

فهذه الأحاديث وغيرها كثير في معناها تحذر من إطلاق الكفر على المسلم، فمن تأكد دخوله في الإسلام لا يجوز تكفيره وإخراجه من الدين إلا ببينة قاطعة توجب ذلك.

وتكفير المسلم يجب أن يكون بضوابط شرعية وفقه وتثبت، ومرده إلى العلماء الراسخين في العلم، والقضاة العارفين بالأدلة والشروط والموانع لهذه المسألة الخطيرة بحيث تدرأ الشبهات وتنتفي المعاذير، وإذا كانت الحدود الشرعية تدرأ بالشبهات، فالتكفير والإخراج من الملة وإقامة حد الردة أولى وأولى.. فمن علم دخوله في الإسلام يقينًا لكونه من أبوين مسلمين أو أحدهما أو نطق بالشهادتين وأظهر شعائر الإسلام فلا يخرج من الإسلام إلا بيقين لا شبهة فيه.

٥٧- قلتم: إن التكفير يكون بضوابط شرعية. ما هي هذه الضوابط وكيفية تحققها مع التوضيح والتفصيل إن أمكن؟

الحكم بتكفير شخص ما يحتاج إلى أمرين هامين:

الأول: دلالة النص على أن ما اقترفه يعد كفرًا، وكفر مخرج من الملة؛ لأن في النصوص الشرعية ما يطلق عليه لفظ الكفر وليس بكفر مخرج عن الملة، فلابد أن يكون النص قد دل على أن هذا العمل كفر، أو أن هذا الترك كفر، وهذا الكفر مخرج من الملة.

ومن أمثلة الكفر الذي لا يخرج عن الملة:

قوله -صلى الله عليه وسلم-: (اثْنَتَانِ فِي النَّاسِ هُمَا بِهِمْ كُفْرٌ: الطَّعْنُ فِي النَّسَبِ، وَالنِّيَاحَةُ عَلَى الْمَيِّتِ) (رواه مسلم).

وقوله -صلى الله عليه وسلم-: (لا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ) (متفق عليه).

الثاني: انطباق هذا الحكم على هذا الشخص المعين الذي صدر منه الفعل أو الترك، والذي دل النص الشرعي على أنه كفر مخرج من الملة؛ لأنه قد تكون هناك موانع تمنع من التكفير، وإن كان الفعل أو الترك كفرًا، فليس كل من اقترف الكفر يكون به كافرًا، دلت على ذلك النصوص الشرعية، ومن أمثلة ذلك:

قوله -تعالى-: (مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) (النحل:١٠٦).

ففيه: أنه إذا أكره الإنسان على الكفر قولاً كان أو فعلاً، ففعل أو قال ما أكره عليه، لا يكفر بذلك، مع أن الفعل أو القول كفر.

وفي الحديث النبوي في بيان فرحة الله -تعالى- بتوبة عبده وتشبيه التائب بالذي يقول من شدة فرحه بالعثور على ناقته وعليها طعامه وشرابه: (اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ) (رواه مسلم). فقوله قول مخرج من الملة، ولكن لذهوله عما يقول لشدة فرحه لا يكفر بذلك.

وفي الحديث النبوي أيضًا في قصة الرجل الذي أسرف على نفسه في المعاصي وخاف عقوبة الله -تعالى-، فقال لأهله: إذا أنا مت فاحرقوني واسحقوني وذروني في اليم، فوالله لئن قدر علي ربي ليعذبني عذابًا لا يعذبه أحدًا من العالمين، ففعلوا، فجمعه الله -عز وجل-، ثم سأله، وأخبره أنه فعل ذلك خوفًا من الله، ظن أن الله لا يقدر عليه، فغفر الله له. (متفق عليه).

والشك في قدرة الله كفر، وهذا الرجل لم يرد أن يصف الله -تعالى- بالعجز، ولكن خوفًا من الله -عز وجل- ظن أن هذا الفرار مِن الله -تعالى- ينجيه من عقابه.

وقد ثبت في الأدلة الشرعية العذر بالجهل الناشئ عن عدم إبلاغ مسائل العقيدة وغيرها، إذ أن الحساب على بلوغ الحكم للمكلف، قال الله -تعالى-: (وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولا) (الإسراء:١٥)، وأخبر -عز وجل- أنه بعث رسله مبشرين ومنذرين؛ لئلا يكون للناس حجة بعد الرسل.

والمعلوم من الدين بالضرورة قد يقع من آحاد الناس من يجهله إما لقرب عهده بالإسلام، أو شدة جهله بدينه أو شيوع البدع والمخالفات العقائدية، وكثرة الشبهات المضللة.

ولقد ورد عن الإمام ابن تيمية -رحمه الله- أنه كان يقول لعلماء الجهمية في زمانه: "أنا لو قلت قولكم لكفرت، ولكني لا أكفركم لأنكم عندي جهال".

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "وهذا المتأول ينبغي إقامة الحجة عليه أولاً، وإظهار خطئه، وإعلامه بالحق، فإذا قامت عليه الحجة اللائحة الظاهرة التي لا محل للجدل بعدها، فإن تمادى على معتقده فإنه يكون جاحدًا لما افترض الله -تعالى- عليه الإيمان به فهو كافر مشرك".

ولذلك ورد عن الإمام مالك -رحمه الله- قوله: "لو احتمل المرء الكفر من تسعة وتسعين وجهًا، واحتمل الإيمان من وجه، لحملته على الإيمان تحسينًا للظن بالمسلم".

٥٨- وضح متى يجوز تكفير المعين ومتى لا يجوز تكفير المعين؟

في سؤال موجه للجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء هذا نصه: هل من حق العلماء أن يقولوا على شخص ما أنه كافر ويتهموه بالكفر؟ فأجابت: "وتكفير المعين إذا أنكر معلومًا من الدين بالضرورة، كالصلاة أو الزكاة أو الصوم بعد الإبلاغ واجب، وينصح، فإن تاب وإلا وجب على ولي الأمر قتله كفرًا، ولو لم يشرع تكفير عندما يوجد منه ما يوجب كفره، ما أقيم حد على مرتد عن الإسلام".

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "إن القول قد يكون كفرًا فيطلق القول بتكفير صاحبه، ويقال: من قال هذا فهو كافر، لكن الشخص المعين الذي قاله فإنه لا يحكم بكفره حتى تقوم عليه الحجة التي يكفر تاركها، وهذا كما في نصوص الوعيد، فإن الله -تعالى- يقول: (إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا) (النساء:١٠)، فهذا ونحوه من نصوص الوعيد حق، ولكن الشخص المعين لا يشهد عليه بالوعيد، فلا يشهد على معين من أهل القبلة بالنار، لجواز أن لا يلحقه الوعيد، لفوات شرط أو ثبوت مانع، فقد لا يكون التحريم بلغه، وقد يتوب مع فعل المحرم، وقد يبتلى بمصائب تكفر عنه وقد يشفع فيه شفيع مطاع".

وقال أيضًا -رحمه الله-: "وهكذا الأقوال التي يكفر قائلها: قد يكون الرجل لم تبلغه النصوص الموجبة لمعرفة الحق"، "وقد تكون بلغته ولم تثبت عنده، أو لم يتمكن من فهمها، وقد تكون عرضت له شبهات يعذره الله"، "ومذاهب الأئمة مبنية على هذا التفصيل بين النوع والعين".

وننبه إلى أن تكفير المعين وإقامة الحجة عليه شأن العلماء القادرين على ذلك بإقامة الحجة الملزمة وإزالة الشبهات العارضة، وليس لكل أحد، وإلا وقعت الفوضى في المجتمع، كما أن إقامة حد الردة على من أقيمت الحجة عليه إنما هي مهمة ولي الأمر أو من ينيبه عنه، وليست لكل أحد، فمن نفذ حكم الردة في شخص من تلقاء نفسه -بفرض استحقاق المقتول لوصف المرتد- إنما وقع في الافتئات على حق -أو واجب- الإمام في تنفيذ ذلك، ولو ترك ذلك لكل أحد لسفكت الدماء واضطرب المجتمع، فإذا عرفنا ذلك تبين لنا:

خطأ من يتسرع بتكفير المعين من تلقاء نفسه بدون الحجة التي يكفر مخالفها.

وخطأ من يسرع بقتل واغتيال من يراه كافرًا كفر عين من تلقاء نفسه.

٥٩- اذكر من أقوال ومواقف العلماء السلفيين المعاصرين ما يؤيد تمسكهم بمذهب أهل السنة والجماعة في قضية عدم تكفير المسلمين؟

أقوال العلماء المعاصرين من دعاة السلفية صريحة واضحة في بيان ذلك، فالعلامة الألباني يقول في أحد أحاديثه: "أقول: مع هذه الدلالات كلها نحن لا نستطيع أن نكفر هؤلاء المسلمين؛ لأنه لم تقم الحجة عليهم؛ لأنه ليس هناك دعاة أكفاء يبلغون الجماهير دعوة التوحيد خالصة لا شرك فيها، ليس هناك من يسيطرون، إنما هناك أفراد قليلون جدًا، فأصواتهم ضائعة ليس لها تأثير، إلا بأفراد يتصلون بهم في مناسبات خاصة أو عامة، لكنها ليست شاملة، هذه عقيدتنا، لو وقع فرد من هؤلاء الذي يصلون معنا، ويصومون معنا، لو وقع في الكفر نحن لا نكفره، لكن إذا علمنا ذلك نبين له أن هذا هو الكفر، وهذا هو الشرك بالله -عز وجل-، فإياك وإياه" اهـ.

وفي إحدى فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء:

"إن مذهب أهل السنة والجماعة: أنهم لا يكفرون مسلمًا بما وقع فيه من الكبائر دون الشرك، مثل: قتل النفس وشرب الخمر، والزنا، والسرقة، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنات المؤمنات وأكل الربا، ونحو ذلك من الكبائر، مثل: الاستعانة بغير الله كدعاء الأموات لتفريج الكربات، والنذر للأموات، والذبح لهم، فهذه الكبائر وأمثالها كفر أكبر يجب البيان لمن ارتكبها، وإقامة الحجة عليه فإن تاب بعد البيان قبلت توبته، وإلا قتله ولي أمر المسلمين".

وخلاصة الكلام: أن السلفيين على مذهب أهل السنة والجماعة: لا يتسرعون في إطلاق الكفر فيكفرون مرتكب الكبيرة أو لا يحكمون بإسلام من نطق بالشهادتين وصلى وصام، كما هو حال الخوارج، ومن سار على دربهم.

وهم مع ذلك: لا يمنعون التكفير منعًا تامًا، بدعوى أن كل من تلفظ بالشهادتين لا يمكن تكفيره بحال، وإن وقع في الكفريات، وإن تكفير المعين لا يجوز مطلقًا حتى إن أنكر ما هو معلوم من الدين بالضرورة، ولكن يقولون: تكفير المعين ممكن بتحقيق شروط التكفير وانتفاء موانعه في حق المعين، وقيام الحجة التي يكفر مخالفها بمعرفة العلماء القادرين على ذلك، فمثل هذا لا حرج عندئذ في تكفيره.

٦٠- ما هو الجهاد في سبيل الله؟ وما حكمه؟ وكيفيته؟

الجهاد: قتال الكفار، فلفظ الجهاد إذا أطلق فالمراد به قتال الكفار؛ لإعلاء كلمة الله -تعالى-، ولا ينصرف إلى غير قتال الكفار إلا بقرينة تدل على المراد.

والجهاد نوعان:

١- جهاد الطلب والابتداء: وهو تطلب الكفار في دارهم، ودعوتهم إلى الإسلام وقتالهم إذا لم يقبلوا الخضوع لحكم الإسلام، وهذا النوع فرض كفاية. قال الله -تعالى-: (وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ) (التوبة:٣٦)، وقال الله -تعالى-: (فَإِذَا انْسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (التوبة:٥).

وفي الحديث قال -صلى الله عليه وسلم-: (أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ فَمَنْ قَالَ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ فَقَدْ عَصَمَ مِنِّي مَالَهُ وَنَفْسَهُ إِلا بِحَقِّهِ وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ) (رواه مسلم).

٢- جهاد الدفاع، فإذا تغلب العدو على قطر من الأقطار وجب على أهل تلك الدار قتاله كل على قدر طاقته لا يتخلف أحد، وهذا النوع فرض عين حتى يندفع شر العدو.

وأحكام الجهاد هذه هي للمسلمين حال أن يكون لهم إمام ودار إسلام، وعندهم القوة والقدرة على الجهاد والقتال، فإن لم يكن الأمر كذلك فمراحل الجهاد على حسب الاستطاعة، والقتال إنما يكون بين معسكرين وجيشين وفريقين: أحدهما مسلم، والآخر كافر أو مستحق للقتال، ولا يكون هذا في مثل أوضاعنا التي نعيشها اليوم حيث لم ينفصل جيش الإيمان عن غيره، بل هما مختلطان غاية الاختلاط فلا تمايز بينهما، فلابد من التمايز والدعوة قبل أي قتال؛ ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من يحيى عن بينه، عن بريدة -رضي الله عنه- قال: كَانَ رَسُولُ اللهِ -صلى الله عليه وسلم- إِذَا أَمَّرَ أَمِيرًا عَلَى سَرِيَّةٍ أَوْ جَيْشٍ أَوْصَاهُ بِتَقْوَى اللهِ فِي خَاصَّةِ نَفْسِهِ، وَبِمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا، وَقَالَ: (إِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَادْعُهُمْ إِلَى إِحْدَى ثَلاثِ خِصَالٍ، أَوْ خِلالٍ فَأَيَّتُهَا أَجَابُوكَ إِلَيْهَا فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، وَكُفَّ عَنْهُمْ: ادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلامِ فَإِنْ أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ.. فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَادْعُهُمْ إِلَى إِعْطَاءِ الْجِزْيَةِ، فَإِنْ أَجَابُوا فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ، فَإِنْ أَبَوْا فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ -تَعَالَى- وَقَاتِلْهُمْ) (رواه مسلم).

ولما بعث النبي -صلى الله عليه وسلم- عليًا يوم خيبر لقتال اليهود أمره بدعوتهم قبل القتال، مع كونهم ممن بلغتهم الدعوة من قبل.

فلابد من التمايز بين الصفوف، وقيام الحجة الملزمة، وإيصال الدعوة قبل أي قتال.

٦١- متى يصير الجهاد في سبيل الله فرض عين على المسلم؟

يصير الجهاد فرض عين على المسلم في صور، منها:

١- إذا عيَّن الإمام شخصًا بعينه للجهاد.

٢- إذا كان النفير عامًا كأن يستنفر الإمام أهل ناحية بعينها للقتال.

٣- إذا حضر المسلم جيش المسلمين وانضم لصفوفهم وهم في حال قتال مع الأعداء، فليس له وقد التحق بهم أن يتخلف عنهم.

٦٢- هل من الجهاد في سبيل الله الخروج على الحكام؟

الخروج على الحكام من جنس الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأهل السنة والجماعة لا يرون الخروج على الحاكم الذي بايعته الأمة، وإن جار وظلم حقنًا للدماء، وحفظًا للأمة، إلا حال الكفر البواح، ووفق ضوابط وقيود شرطوها ذكرناها من قبل.

٦٣- من له الحق في إقامة حد الردة على من كفر من المسلمين وارتد؟

دماء المسلمين حرام يقينًا فلا تستباح بدون أمر يقيني مثله، وفي الحديث قوله -صلى الله عليه وسلم-: (لَنْ يَزَالَ الْمُؤْمِنُ فِي فُسْحَةٍ مِنْ دِينِهِ مَا لَمْ يُصِبْ دَمًا حَرَامًا) (رواه البخاري)، وفي الحديث المرفوع: (لَزَوَالُ الدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ قَتْلِ رَجُلٍ مُسْلِمٍ) (رواه الترمذي والنسائي، وصححه الألباني)، وتكفير المسلم والإفتاء بإباحة قتله جرأة على الفتيا ليس لكل أحد -كما بينا من قبل- التصدي لها؛ وإلا وقع في المحظور.

وإقامة حد الردة بعد إقامة الحجة التي يكفر مخالفها واجب الإمام أو من ينوب عنه منعًا للفوضى، والافتئات على عمل الإمام يستحق صاحبه الإثم والتعزيز.

٦٤- متى يجوز عزل الحاكم؟ وكيف يكون ذلك؟

أجمع العلماء على أن الإمامة لا تنعقد لكافر أو فاسق ابتداءً، فإن تولى الإمامة إمام عادل ثم طرأ عليه الفسق؛ فجمهور أهل السنة على عدم الخروج عليه، ولكن نصحه وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر، وطاعته في المعروف وترك طاعته في المعصية والصبر على جوره وظلمه وأذاه، إلا إذا طرأ عليه الكفر البواح.

روى البخاري ومسلم عن عبادة بن الصامت -رضي الله عنه- قال: "بَايَعْنَا -أي رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا، وَعُسْرِنَا وَيُسْرِنَا، وَأَثَرَةٍ عَلَيْنَا، وَأَنْ لا نُنَازِعَ الأَمْرَ أَهْلَهُ، قال: (إلا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ مِنْ اللَّهِ فِيهِ بُرْهَانٌ).

قال الخطابي -رحمه الله-: "معنى بواحًا: يريد ظاهرًا باديًا من قولهم: باح بالشيء يبوح بوحًا وبواحًا إذا أذاعه وأظهره".

قوله -صلى الله عليه وسلم-: (عِنْدَكُمْ مِنْ اللَّهِ فِيهِ بُرْهَانٌ)، قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله-: "أي نص آية أو خبر صحيح لا يحتمل التأويل".

وقال النووي: "المراد بالكفر هنا المعصية، ومعنى الحديث: لا تنازعوا ولاة الأمور في ولاياتهم، ولا تعترضوا عليهم إلا أن تروا منهم منكرًا محققًا تعلمونه من قواعد الإسلام".

قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله-: "إنه -أي الإمام- ينعزل بالكفر إجماعًا، فيجب على كل مسلم القيام في ذلك، فمن قوي على ذلك فله الثواب، ومن داهن فعليه الإثم، ومن عجز وجبت عليه الهجرة من تلك الأرض".

ونقل الحافظ ابن حجر في الفتح ج١٦ ص١١٤، عن ابن القيم -رحمه الله- عن الداودي قال: "الذي عليه العلماء في أمراء الجور أنه إن قدر على خلعه بغير فتنة ولا ظلم وجب، وإلا فالواجب الصبر، وعن بعضهم لا يجوز عقد الولاية لفاسق ابتداءً، فإن أحدث جورًا بعد أن كان عدلاً، فاختلفوا في جواز الخروج عليه، والصحيح منعه إلا أن يكفر فيجب الخروج عليه".

وقال النووي -رحمه الله-: "وأجمع أهل السنة أنه لا ينعزل السلطان بالفسق، وأما الوجه المذكور في كتب الفقه لبعض أصحابنا أنه ينعزل، وحكى عن المعتزلة أيضًا فغلط من قائله مخالف للإجماع، قال العلماء: وسبب عدم انعزاله وتحريم الخروج عليه ما يترتب على ذلك من الفتن وإراقة الدماء وفساد ذات البين فتكون المفسدة في عزله أكثر منها في بقائه".

وقال القاضي عياض: "أجمع العلماء على أن الإمامة لا تنعقد لكافر، وعلى أنه لو طرأ عليه الكفر؛ انعزل".

وقال أيضًا: "ولا تنعقد لفاسق ابتداءً فلو طرأ على الخليفة فسق، قال بعضهم: يجب خلعه إلا أن ترتب فتنة وحرب، وقال جمهور أهل السنة من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين: لا ينعزل بالفسق والظلم وتعطيل الحقوق ولا يخلع، ولا يجوز الخروج عليه بذلك، بل يجب وعظه وتخويفه للأحاديث الواردة في ذلك".

وليس كل من استحق العزل عزل، وإنما ينظر إلى ما يترتب على هذا العزل، فإن ترتب عليه فتنة أكبر لم يجز العزل والخروج عليه، كما لا يجوز إنكار المنكر بمنكر أعظم منه، أما إذا أمنت الفتنة وقدر على عزله بوسيلة لا تؤدي إلى فتنة فلا بأس حينئذ ومسألة عزل الحاكم داخلة ضمن قضية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،

كما يدخل فيها أيضًا النصيحة والدعوة والجهاد وإقامة المجتمع المسلم، وبالتالي فلابد من مراعاة فقه الإنكار، وهذا يستلزم أن ننظر بعين الاعتبار إلى أمور ثلاثة:

١- التحقق من أن الحاكم قد أتى بما يستوجب العزل.

٢- هل عندنا الاستطاعة على عزله أم لا؟ وذلك لأن هذا الواجب يسقط بالعذر والعجز وعدم الاستطاعة، حتى وإن تحققنا أنه يستوجب العزل (لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إلا وُسْعَهَا) (البقرة:٢٨٦)، وفي الحديث: (مَنْ رَأى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ فَإنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ فَإنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أضْعَفُ الإيمَانِ) (رواه مسلم)، فرتب النبي -صلى الله عليه وسلم- الإنكار على الاستطاعة.

٣- هل المصلحة متحققة بعزله أم لا؟ حتى وإن استوجب الإمام العزل، وكان عندنا الاستطاعة على عزله، وذلك لأن شرع الله مصلحة كله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر شرع لجلب مصلحة ولدفع مفسدة.

فلا يجوز أن نزيل كافرًا ونأتي بمن هو أكفر منه أو نجعل الكفار يتمكنون من البلاد والعباد بخروجنا على الحاكم.

والأمر كما ترى يتطلب معرفة شرعية وبصيرة بالواقع وقدرة على وزن المصالح والمفاسد دون حيف أو ميل.

- يقول الدكتور عبد الكريم زيدان في كتابه "أصول الدعوة" تحت عنوان: (عزل الخليفة): "الأمة هي التي تختار الخليفة، فلها حق عزله؛ لأن من يملك حق التعيين يملك حق العزل، ولكن استعمال هذا الحق يقتضي وجود المبرر الشرعي، وإلا كان تعسفًا في استعمال الحق، واتباعًا للهوى، وهذان لا يجوزان في شرع الإسلام، والمبرر الشرعي لعزل الخليفة، خروجه عن متقضى وكالته عن الأمة خروجًا يبرر عزله، أو عجزه عن القيام بمهام الخلافة وهذا ما صرح به الفقهاء، فالإمام ابن حزم يقول -وهو يتكلم عن الإمام- ما نصه: ".. فهو الإمام الواجب طاعته ما قادنا بكتاب الله -تعالى- وسنة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-؛ فإن زاغ عن شيء منهما منع من ذلك، وأقيم عليه الحد والحق، فإن لم يؤمن أذاه إلا بخلعه؛ خلع وولى غيره"، ومن أقوال الفقهاء أيضًا: "وللأمة خلع الإمام وعزله بسبب يوجبه مثل أن يبدر منه ما يوجب اختلال أحوال المسلمين وانتكاس أمور الدين كما كان لهم نصبه وإقامته لانتظامها واعتلائها".

وتحت عنوان "تنفيذ العزل" يقول: "وإذا كانت الأمة تملك حق عزل الخليفة عند وجود السبب الشرعي الداعي لذلك، إلا أنه يجب أن يعرف جيدًا بأن مجرد وجود السبب الشرعي للعزل، لا يعني بالضرورة لزوم تنفيذ العزل؛ لأن عند التنفيذ يجب أن ينظر في إمكانه ونتائجه، فإذا كان تنفيذه ممكنًا، ورؤي أنه لا تترتب على العزل في هذه الحالة، وإذا رؤي أن التنفيذ غير ممكن أو ممكن بذاته، ولكن تترتب عليه نتائج مضرة بالأمة تزيد على أضرار بقائه وعدم عزله، وجب أو ترجح عدم التنفيذ؛ لأن من قواعد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أن لا يكون العمل على إزالة المنكر مستلزمًا أو مقتضيًا وقوع منكر أعظم منه، وعزل الخليفة من المنكر فيخضع لهذه القاعدة".

٦٥- اذكر أسماء بعض الكتب المفيدة في دراسة قضايا الإيمان والكفر على منهج السلف وعقيدتهم؟ وكذلك قضية الحاكمية؟

من الكتب المتداولة في هذا القضايا الهامة وهي مفيدة جدًا في بابها:

١- شرح العقيدة الطحاوية.

٢- الجزء الثاني من كتاب معارج القبول.

٣- شرح العقيدة الواسطية.

٤- كتاب الإيمان لابن تيمية.

٥- المجلد السابع من مجموع الفتاوى لابن تيمية.

٦- كتاب الإيمان من فتح الباري شرح صحيح البخاري.

٧- كتاب الإيمان من صحيح مسلم شرح النووي.

٨- ويفيد في ذلك أيضًا كتاب "الردة" في كتب الفقه عامة.

وفي قضية الحاكمية:

١- كتاب الحكم بالقوانين الوضعية للدكتور الأشقر.

٢- رسالة تحكيم القوانين للشيخ محمد بن إبراهيم.

وانظر كذلك:

المجلد الرابع من أضواء البيان للشنقيطي.

والمجلد السابع من تحقيق الشيخ أحمد شاكر لمسند الإمام أحمد.

٦٦- لماذا يتمسك السلفيون بتقصير ثيابهم وإطلاق لحاهم ويلزمون نسائهم بارتداء النقاب حتى صاروا يعرفون بين الناس بالتزامهم بتلك الهيئات دون غيرها، وهي كلها من المظاهر الخارجية للشخص وإنما العبرة بعمل القلب وصلاح المعتقد؟

الإسلام لا يلزم المسلمين بزي خاص يرتدونه، فللمسلم أن يرتدي ما يشاء من الثياب، فالثياب والهيئات من أمور العادات، والأصل فيها الإباحة.

ولكن الإسلام له ضوابط فرضها على المسلم ينبغي عليه أن يراعيها في مظهره وهيئته وثيابه، فكما حرم الإسلام أنواعًا من الأطعمة والأشربة مع أن الأصل في الأطعمة والأشربة الإباحة فكذلك في الهيئات والملابس.

فالإسلام يحرم على المسلمين أن يتشبهوا في ثيابهم بالكفار والمشركين، ويحرم على الرجال التشبه بالنساء، وعلى النساء التشبه بالرجال، ويحرم على الرجال لبس الحرير والذهب، ويحرم عليهم من الثياب ما فيه كشف للعورات وتجسيمها، من ملابس رقيقة شفافة أو ضيقة محددة للعورات.

والنساء المسلمات يحرم عليهن التبرج، ويلزمهن التستر، وقد اختلف العلماء كما هو معروف في ما تبديه المرأة من بدنها على قولين:

الأول: جواز كشف الوجه والكفين.

الثاني: عدم جواز كشف الوجه أو الكفين، بل تستر المرأة جميع بدنها عن الرجال الأجانب غير المحارم وجوبًا.

وقد اتفق الفريقان معًا على أن ستر الوجه والكفين بنقاب ونحوه أفضل من السفور، والخلاف في ستر الوجه والكفين حول كون سترهما فضيلة أم فريضة على أن الفريقين يوجبا ستر الوجه والكفين على المرأة إن كانت جميلة فاتنة، أو على وجهها زينة، أو تعلم أن هناك من يتعرض لها بالنظر، ولا يتقي الله في غض البصر عنها، ولا يخفى أن هذه الأحوال تجعل النقاب اليوم من الأمور المطلوبة.

أما تقصير الثياب وإطلاق اللحية فمما ورد به الشرع، فالتزامه دينًا يتقرب به، ونذكر لك طرفا مما ورد في ذلك، ففي رياض الصالحين للنووي -رحمه الله- عن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: (مَا أَسْفَلَ مِنْ الْكَعْبَيْنِ مِنْ الإِزَارِ فَفِي النَّارِ) (رواه البخاري)، والكعبان هما العظمان الناتئان البارزان على جانبي ملتقى الساق والقدم.

وقال -صلى الله عليه وسلم- لأبي جُري جابر بن سليم -رضي الله عنه-: (وَارْفَعْ إِزَارَكَ إِلَى نِصْفِ السَّاقِ، فَإِنْ أَبَيْتَ فَإِلَى الْكَعْبَيْنِ، وَإِيَّاكَ وَإِسْبَالَ الإِزَارِ، فَإِنَّهَا مِنَ الْمَخِيلَةِ، وَإِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْمَخِيلَةَ) (رواه أبو داود والترمذي، وصححه الألباني).

وعن أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: (إِزْرَةُ الْمُسْلِمِ إِلَى نِصْفِ السَّاقِ، وَلاَ حَرَجَ -أَوْ لاَ جُنَاحَ- فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكَعْبَيْنِ، مَا كَانَ أَسْفَلَ مِنَ الْكَعْبَيْنِ فَهُوَ فِي النَّارِ، مَنْ جَرَّ إِزَارَهُ بَطَرًا لَمْ يَنْظُرِ اللَّهُ إِلَيْهِ) (رواه أحمد وأبو داود، وصححه الألباني).

وعن ابن عمر -رضي الله عنهما- قال: مَرَرْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَفِي إِزَارِي اسْتِرْخَاءٌ، فَقَالَ: (يَا عَبْدَ اللَّهِ ارْفَعْ إِزَارَكَ) فَرَفَعْتُهُ، ثُمَّ قَالَ: (زِدْ). فَزِدْتُ فَمَا زِلْتُ أَتَحَرَّاهَا بَعْدُ، فَقَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ: إِلَى أَيْنَ؟ فَقَالَ: (أَنْصَافِ السَّاقَيْنِ) (رواه مسلم).

والإمام شمس الدين الذهبي عد إطالة الثياب من كبائر الذنوب في كتابه "الكبائر" حيث ذكر في الكبيرة الخامسة والخمسون: إسبال الإزار والثوب واللباس والسراويل تعززًا وعجبًا، وفخرًا وخيلاء، وذكر بعضًا مما أوردناه من الأحاديث النبوية، وفي كتابه القيم "سير أعلام النبلاء"، ذكر الذهبي عن ابن عمر -رضي الله عنهما- أنه كان يتزر إلى أنصاف ساقيه.

وذكر أنه -أي ابن عمر- ترك أن يلبس ثوبًا ليس بحرير، ولكن لين ناعم الملمس من قطن خشية أن يكون مختالاً فخورًا، ثم أعقب ذلك بالإنكار على من يطيل الثياب خاصة إن كان من أهل العلم، فقال -رحمه الله- ما ملخصه: "قلت: كل لباس أوجد في المرء خيلاء وفخرًا فتركه متعين ولو كان من غير ذهب ولا حرير، فإنا نرى الشاب يلبس الفَرَجية الصوف -ثوب واسع طويل الأكمام يتخذ من قطن أو حرير أو صوف- بفرو من أثمان أربع مائة درهم ونحوها، والكبر والخيلاء على مشيته ظاهر، فإن نصحته ولمته برفق كابر، وقال: ما في خيلاء ولا فخر، وهذا السيد ابن عمر يخاف ذلك على نفسه، وكذلك ترى الفقيه عمر يخاف ذلك على نفسه، وكذلك ترى الفقيه المترف إذا ليم في تفصيل فرجية تحت كعبيه، وقيل له: قد قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: (مَا أَسْفَلَ مِنْ الْكَعْبَيْنِ مِنْ الإِزَارِ فَفِي النَّارِ)، يقول: إنما قال هذا فيمن جر إزاره خيلاء، وأنا لا أفعلُ خيلاء.

فتراه يكابر ويبرئ نفسه الحمقاء، ويعمد إلى نص مستقل عام فيخصه بحديث آخر مستقل بمعنى الخيلاء، ويترخص بقول الصديق: إنه يا رسول الله يسترخي إزاري، فقال: (لَسْتَ مِمَّنْ يَصْنَعُهُ خُيَلاءَ)، فقلنا: أبو بكر -رضي الله عنه- لم يكن يشد إزاره مسدولاً على كعبيه أولاً، بل كان يشده فوق الكعب، ثم فيما بعد يسترخي، وقد قال -عليه السلام-: (إِزْرَةُ الْمُسْلِمِ إِلَى نِصْفِ السَّاقِ، وَلاَ حَرَجَ -أَوْ لاَ جُنَاحَ- فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكَعْبَيْنِ).

ومثل هذا في النهي لمن فصل سراويل مغطيًا لكعابه، ومنه طول الأكمام زائدًا، وتطويل العَذَبَة، وكل هذا من خيلاء كامن في النفوس.

وقد يعذر الواحد منهم بالجهل، والعالم لا عذر له في تركه الإنكار على الجهلة، فإن خُلِعَ على رئيس خلعة -ما يكسى به الرجل من الإمام أو نائبه على وجه التكرم- سيراء -نوع من البرود تتخذ من حرير- من ذهب

وحرير وقندَس يُحرمه ما ورد في النهي عن جلود السباع ولبسها، والشخص يسحبها ويختال فيها، ويخطر بيده ويغضب ممن لا يُهنيه بهذه المحرمات، ولا سيما إذا كانت خلعة وزارة وظلم ونظر مَكس -المكس الضريبة التي يأخذها الماكس وهي العشَّار- أو ولاية شرطة فليتهيأ للمقت والعزل والإهانة والضرب -فكما أكرم عند تقلدها؛ فإنه يهان عند عزله عنها-، وفي الآخرة أشد عذابًا وتنكيلاً، فرضي الله عن ابن عمر -رضي الله عنهما- وأبيه، وأين مثل ابن عمر في دينه وورعه وعلمه وتألهه وخوفه من رجل تعرض عليه الخلافة فيأباها، والقضاء عن مثل عثمان فيرده، ونيابة الشام لعلي فيهرب منه، فالله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب" اهـ من سير أعلام النبلاء ج٣/٢٣٤، ٢٣٥ مؤسسة الرسالة.

وقد ذكر عن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- أنه لما طعن عاده الناس فكان من بينهم أحد الشباب قد أطال ثوبه فأنكر عليه عمر وأمره بعدم الإسبال، وقال له: "هذا أتقى لربك، وأنقى لثوبك"، يريد ما في ذلك من الطاعة لله، وحفظ الثوب من أن يتسخ من جره تحت الكعبين.

أما إطلاق اللحية وتوفيرها وعدم حلقها فقد وردت في ذلك أحاديث متعددة عن النبي -صلى الله عليه وسلم-، منها:

ما رواه مسلم عن ابن عمر -رضي الله عنهما- قوله: "أمرنا بإعفاء اللحية"، وعنه أيضًا قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: (خَالِفُوا الْمُشْرِكِينَ أَحْفُوا الشَّوَارِبَ وَأَوْفُوا اللِّحَى) (متفق عليه).

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: (جُزُّوا الشَّوَارِبَ وَأَرْخُوا اللِّحَى خَالِفُوا الْمَجُوسَ) (رواه مسلم).

وعلى ذلك كان هديه -صلى الله عليه وسلم-، روى مسلم عن جابر بن سمرة -رضي الله عنه- قال: "وَكَانَ كَثِيرَ شَعْرِ اللِّحْيَةِ". وقالت عائشة -رضي الله عنها-: "كان -صلى الله عليه وسلم- كث اللحية تملأ صدره"، وقيل لخباب بن الأرت -رضي الله عنه-: أَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقْرَأُ فِي الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ؟ قَالَ: نَعَمْ. قُلْنَا: بِمَ كُنْتُمْ تَعْرِفُونَ ذَاكَ؟ قَالَ: بِاضْطِرَابِ لِحْيَتِهِ. (رواه البخاري).

إذا تبيَّن ذلك فقد علمت أن ما عليه الشباب المتلزم من تقصير الثياب وتوفير اللحية وإلزام النساء بالحجاب والنقاب هو من دين الله -تعالى-، وإن التقصير إلى منتصف الساق سنة ليست بملزمة، ولكن ينبغي ألا يتعدى الثوب الكعبين، فلا يصح والحال كما رأيت الإنكار على من وافق السنة، وإنما الواجب الإنكار على من خالفها، ومن عجائب الأمور أن الناس يتقبلون من النساء تقصير الثياب والبنطلونات ويألفونه، وتتغير وجوههم نفورًا من الشباب الذي لا يصل تقصيره لثوبه إلى تقصير تلك النساء المتبرجات!

ولا يخفى أن العبد يلزمه موافقة عمله للشرع، وإخلاص نيته لله، فيجتمع فيه صلاح الظاهر والصورة، وصلاح القلب والنية، فإن فقد الإخلاص بطل العمل، وإن خالف الشرع رد العمل على صاحبه، وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: (إِنَّ اللَّهَ لا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ).

فتأمل كيف جمع النبي -صلى الله عليه وسلم- بين سلامة القلب وصلاح العمل بموافقته للشرع.

٦٧- لماذا يعتني أتباع الدعوة السلفية بكتب ابن تيمية وتلميذه ابن القيم -رحمهما الله تعالى- أكثر من عنايتهم بكتب غيرهما؟

إن السلفيين لا يهملون كتب العلوم الشرعية النافعة، فغايتهم طلب الحق وتحصيل العلم للعمل، وهم مشهود لهم عند الجميع أنهم من طلبة العلم الجادين ولهم فيه الباع الطويل.

وابن تيمية -رحمه الله- علامة فذ، أحاط بالعلوم الشرعية إحاطة كبير، وما من فن من فنون العلم إلا وله فيه نصيب وافر، تشهد بسعة علمه مؤلفاته الكثيرة، وتشهد بدقة فهمه واستيعابه إجاباته وفتاويه الزاخرة بتفاصيل علمه الغزير، وابن تيمية عالم المذهب السلفي البارز في العصر المملوكي، الذي شهد إحياء للسنة بجهود ابن تيمية وتلاميذه، كما شهد استئصال بقايا الصليبيين في الشام وهزيمة التتار، ولابن تيمية دوره في هذا الجهاد بسيفه وقلمه، أما ابن القيم فهو أنجب تلاميذ ابن تيمية، بل فاقه في بعض مؤلفاته العظيمة.

وفضل ابن تيمية ثم ابن القيم لا ينكره أحد، حتى المخالفين للدعوة السلفية أنفسهم، وإن كثرت التهم الباطلة لهما من المتعصبين للمذاهب الفقهية والمبالغين في التصوف والاعتزال وعلم الكلام.

ومن أسباب زيادة الاهتمام بمؤلفات ابن تيمية وابن القيم:

١- لأن كتبهما استوعبت أبواب الإسلام كلها تقريبًا، واستوفت الكلام فيها.

٢- اتصافهما بالعدل والإنصاف حتى مع المخالفين للمذهب السلفي والمعادين له.

٣- سهولة ألفاظهما ووضوح معانيها، والتدرج العقلي المقنع مع استيفاء الأدلة الشرعية التفصيلية الدقيقة.

٤- معرفة مداخل الخصوم وأوجه مخالفتها للشرع فكانت إحاطتهما بذلك سببًا في أن ردودهما تجيء كافية شافية وافية، بالغة الدقة والوضوح والصواب.

٥- ما كانا عليه من الرد إلى علوم الأولين حيث يُسر السلف، وسلامة فطرتهم خاصة في القضايا العقائدية، مما أيقظ في النفوس إحياء نهضة علمية دينية قائمة على فهم ودراسة الكتاب والسنة على طريقة السلف الصالح.

٦- تحررهما من قيود المذهبية والتعصب والتقليد، وفيه دليل على تمكنهما من آلات الاجتهاد في علوم الشريعة، ويشهد لذلك خروجهما عن مذهبهما الحنبلي الذي سارا عليه لما تبين لهما الحق في خلافه، ومع ذلك فالسلفيون كما ذكرنا لم يقصروا في الاهتمام بالمؤلفات الأخرى العلمية المفيدة والتي تجدها منتشرة التداول بين السلفيين: كفتح الباري لابن حجر، وشرح النووي لصحيح مسلم، ونيل الأوطار للشوكاني، وتفسير ابن كثير، والمجموع للنووي، والمغني لابن قدامة، وشرح الطحاوية لابن أبي العز وغيرها كثير.

٦٨- السلفيون مهتمون بأنهم لا يأخذون العلم إلا عن شيوخهم المنتسبين للسلفية، يرفعونهم إلى أعلى المراتب، ولا يحيدون عن أقوالهم، فهم عندهم الأصوب دائمًا لا يستعصي عليهم شيئًا؟

الحقيقة أن هذه فرية أكثر منها شبهة فإن السلفيين أسعد الناس حين يرون ظهور شرائع الدين في الأمة، في العقائد والفروع، حتى وإن كان الفضل في ظهور ذلك يعود لغيرهم؛ لأنهم يطلبون الحق لوجه الله وحده، ويتمنون التوفيق للصالحين من عباد الله -تعالى-.

وهناك حقائق ينبغي التنبه لها، وهي:

١- أن السلفيين يرفضون التقليد، ويطلبون الدليل، ويحرصون على التمييز بين الخطأ والصواب في الأحكام، ولهذا لا يكفيهم مجرد عرض الأحكام نقلاً عن المذاهب الفقهية الأربعة دون تصويب أو ترجيح بحسب قوة دليل كل منها.

٢- إن السلفيين كطلاب علم جادين لا يرون اللجوء إلى التقليد إلا عند العجز عن فهم المسألة، أو عدم القدرة على الترجيح بين الأدلة المتعارضة ظاهرًا، وهم لا يرون حق التقليد لغيرهم إلا لمن عجز عن النظر في أقوال العلماء وأدلتهم، وهم -أي السلفيون- يعلمون جيدًا أنهم ليسوا من أهل الاجتهاد في الدين، إذ أن مرتبة الاجتهاد مرتبة عالية جدًا، لا تنال بالدعاوي ولا بالأماني، ولكنهم طلاب علم، يأخذون العلم بجدية، ويسعون لتحصيل ما يحتاجون إليه من أحكام الدين وليس عيبًا في السلفيين أن يكون بينهم طلاب علم لديهم قدرة على النظر في أدلة العلم ومحاولة ترجيح بعضها على بعض بحسب قوة الدليل.

والواجب على كل مسلم تشجيع ذلك لا التهجم عليه أو الانتقاص منه.

فالسلفيون أولاً وأخيرًا متبعون لا مبتدعون، يأخذون من أقوال أئمة أهل السنة ما وافق الكتاب والسنة، ويرون أن الحق لا يخرج عن مجموع أقوال مذهب هؤلاء الأئمة وأن في أقوالهم ما تحتاج إليه الأمة في أمور الدين.

٣- إن السنة النبوية تقديم الأعلم والأفقه؛ للحاجة إلى علمه وفقهه.. والعلماء المنتسبون للدعوة السلفية السائرون في منهجهم على تحري الكتاب والسنة، المطلعون على أقوال الأئمة العارفون بأدلتهم القادرون على الترجيح بينها هم أصحاب الفقه السوي الذي يجعل المسلم على بصيرة بدينه، ويمنعه من التخبط المفضي إلى الحيرة بين أقوال لا يعرف دليلها، ولا ترجيح قول منها على آخر.

إن هؤلاء العلماء السلفيين بتمسكهم بالكتاب والسنة، وفهم السلف الصالح، ورجوعهم إلى أقوال الأئمة والترجيح بين أدلتهم يصبح الأخذ عنهم في هذا الزمان نوع من الإسناد العالي الذي عز جدًا، بل يكاد أن يكون اندثر، فجزى الله خيرًا من يسر للأمة الطريقة إلى سنة نبيها -صلى الله عليه وسلم- تحقيقًا واختصارًا وتصحيحًا وتضعيفًا، وتبيانًا لأحكام ومسائل وفروع وأصول كانت منسية فذكرت، غائبة فأحضرت، مخفية فأظهرت، فالتقى شباب الإسلام عليها في كل أرجاء الأرض، وسعوا إلى كتبها ورسائلها وفتاواها من كل حدب وصوب.

فاستظهروا وجمعوا في عقولهم ما فيها، وأصبحوا ظاهرين بذلك على أصحاب الدعاوى العريضة ممن كانوا يظنون أنفسهم أو يظنهم الناس أنهم على شيء، وعدوا أنفسهم وعدهم الناس سادة العلماء، فروجوا أباطيل وأضلوا الكثير.

٦٩- السلفيون متهمون بالطعن في أئمة المذاهب الأربعة والانتقاص منهم؟

هذه فرية أكثر منها تهمة، إن السلفيين يرفضون التقليد ويأخذون بالدليل، ويطلبون الحجة في كل حكم، فإن تركوا حكمًا لإمام بتقديم قول إمام آخر عليه؛ لقوة دليله وحجته فليس هذا يعني الطعن في هذا العالم الجليل والإمام المجتهد، فإن كل عالم وإمام مجتهد قد بذل جهده وطاقته في معرفة الحق، والوصول إليه، فإن أصابه -بفضل الله- فله أجران، وإن أخطأ فله أجر عن اجتهاده.

والسلفيون بحق هم أكثر الناس تمسكًا بأقوال الأئمة الأربعة وغيرهم من أئمة الصحابة والتابعين، فإنهم أكثر الناس أخذًا عنهم، والانتساب إليهم، ولا تخرج الآراء الفقهية عندهم عن أحد أقوال هؤلاء الأئمة بعد الترجيح بين الآراء الفقهية المختلفة.

فهل يُعاب على من يتحرون الحق والصواب في أقوال الأئمة الأربعة -رحمهم الله تعالى-.. وأيهما أهدى سبيلاً؟ الذي يسلم للمذاهب أي بكل ما فيها ويرى الخطأ فيها كالصواب والصواب كالخطأ؟ أم الذي يميز بين الخطأ وبين الصواب من غير تجريح ولا تقبيح؟

إن السلفيين في ذلك متبعون للأئمة.. لا مبتدعون.. فإن الأئمة الأربعة أنفسهم ثبت عنهم الحث على النظر في أدلتهم وعرضها على الكتاب والسنة.. والأخذ بما وافق أدلتهما.. والسلفيون يوقنون أن مجموع مذاهب الأئمة تجد فيه الأمة ما تحتاج إليه من أمور الدين.

٧٠- اذكر بعض أقوال أئمة المذاهب في الحث على النظر في أقوالهم وما خالف الكتاب والسنة منها؟

أقوال الأئمة الأعلام في ذلك مشهورة، فعن الإمام مالك -رحمه الله- أنه قال: "ما من أحد إلا ومأخوذ من كلامه ومردود عليه إلا رسول الله -صلى الله عليه وسلم-".

وعن أبي حنيفة -رحمه الله- قال: "لا ينبغي لمن لم يعرف دليلي أن يفتي بكلامي".

وعن الشافعي -رحمه الله- قال: "إذا صح الحديث فهو مذهبي"، وقال: "إذا رأيتم كلامي يخالف الحديث فاعملوا بالحديث واضربوا بكلامي الحائط".

وعن الإمام أحمد -رحمه الله- قال: "ليس لأحد مع الله -تعالى- ورسوله -صلى الله عليه وسلم- كلام".

٧١- السلفيون متهمون بحرصهم على تلقين علوم الأقدمين للشباب المسلم دون تنمية أفهامهم وعقولهم، ومن ثمَّ ينصرف هذا الشباب عن تعلم العلوم الحديثة والأخذ بها؟

الزعم بأن أتباع السلفيين إنما سبيلهم تلقين علوم الأقدمين حفظًا دون تنمية للعقول فهمًا، وتحصيل العلوم الحديثة عملاً، زعم خاطئ وتشويه متعمد للسلفيين، فقد ذكرنا مرارًا أن السلفيين لا يعادون العلوم الدنيوية، وكيف ذلك ومنها ما هو فروض كفاية في حق الأمة، ومنها ما هو فروض عين في حق من يمارس حرفة أو صنعة أو مهنة تقوم على هذه العلوم المادية الحديثة كالطب والهندسة، وسائر الصناعات الثقيلة.

ولو نظرنا لعلماء السلف لوجدناهم من السباقين إلى تحصيل العلوم الشرعية والدنيوية، وكان لكثير منهم إلى جانب طلب العلم مهن يرتزقون منها ويفيدون المجتمع.

ولقد اعتنى العلماء من السلفيين بالعلوم الغير شرعية ولهم فيها باع، فهذا ابن تيمية -رحمه الله- يدلي بآرائه في العلوم الرياضية والطبيعية في كتابه: "الرد على المنطقيين"، و"نقض المنطق"، وينتقد منهج أرسطوطاليس الاستنباطي، ويظهر اهتمامه بالمنهج الاستقرائي الذي يرجع إليه الفضل في تقدم علومنا التجريبية المعاصرة، ولهذا يعد ابن تيمية سابقًا لأهل عصره في ذلك.

أما تلميذه ابن القيم -رحمه الله- فلم تمنعه سلفيته أيضًا تحصيل العلوم الدنيوية والتبحر فيها، وها هو كتبه بين أيدينا تشهد باطلاعه على علوم الأطباء القدماء والطب في عصره فينقل عن أمثال بقراط وجالينوس، وكتابه "تحفة المودود" في بابيه الأخيرين السادس عشر والسابع عشر يشهد بذلك، وكذلك كتابه في الطب النبوي.

وقل مثل ذلك في ابن رجب الحنبلي -رحمه الله-.

إن طلب الحق وطلب الوصول إليه مرهون بالرد إلى الكتاب والسنة، والاسترشاد في فهم الكتاب والسنة بكلام أئمة الأمة وسلفها الصالح ليس عيبًا، بل هو انتفاع بعلمهم واستفادة بجهدهم، وزيادة حرص على الإلمام

بعلمهم واستفادة بجهدهم، وزيادة حرص على الإلمام بعلومهم التي سبقونا بها في فهم كتاب ربنا وسنة نبينا -صلى الله عليه وسلم-.

٧٢- اذكر بعض الأمثلة لكتب تناولت قضايا السنة والبدعة يسهل الاطلاع عليها؟

من الكتب الجيدة في قضايا السنة والبدعة:

١- الإبداع في مضار الابتداع: الشيخ علي محفوظ.

٢- السنن والمبتدعات: لمحمد بن عبد السلام.

٣- الرد على البدع والحوادث: لأبي شامة.

ومن الكتب المؤصلة للموضوع:

١- كتاب الاعتصام للشاطبي.

٢- المدخل: ابن الحاج.

٣- اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم لابن تيمية.